

obeyikandi.com

ديوان
سيرة الباقين

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تقديم وتعريف وشكر

هذه أثاراً من كلام العرب، من شعر سراقَةَ بنِ مِرْدَاسِ البارقيِّ الأصغر، ينشرها لأول مرة في كتاب، الأديب «حسين نصار» خريج كلية الآداب، من جامعة فؤاد الأول (القاهرة).

ونحن في مَسِيسِ الحاجة إلى نشر هذا الديوان، وأمثاله من دواوين العرب وأشعارهم التي لم تطبع، وما أكثرها! لأننا نريد التعمُّق في درس الأدب العربي على المنهج الأقوم؛ ولا يكون هذا إلا بإحياء الآثار الباقية ونشرها؛ وكل محاولة لدراسة الآداب قبل إتمام الكشف عن النصوص والتمتون ودرسها وتحليلها، فهي محاولة غير مجدية، لا تؤدي إلى تصور صحيح، أو حكم سليم.

إن دراسة الآداب في العصور الحديثة، على ضوء المناهج العلمية السليمة للمستشرقين والباحثين، جعلت لكل ما يكتب الأدباء والمنشئون قيمة كبيرة، في تصور مذاهبهم وخصائصهم، وتطور أفكارهم وفنونهم وأساليبهم، فلا يمكن الحكم على شاعر أو أديب إلا بعد الفحص الطويل عن كل ما خلف من آثار، وهذا منهج فلسفي صحيح، يؤدي إلى نتائج صحيحة ولا ريب. ولذلك شمر العلماء والباحثون والمنقبون، للكشف عن آثار الأدباء، وإبرازها للعيون، وتقريبها من الأيدي. وكان لأساتيد الجامعات الأوروبية في العصور الحديثة فضل السبق إلى إحياء آثار العرب والمسلمين، فَعُنُوا بنشرها وطبعها، ووصلوا في تحقيق ذلك إلى غاية لم يصل إليها الشرقيون المشتغلون بنشر التواليف العربية في هذا العصر.

حقيقة مؤلمة نعترف بها على أنفسنا وأهل زماننا. أما القدماء من أسلافنا فقد أبلوا في أداء هذا الواجب العلمي، على أدق المناهج وأوضح الخطط. فلم يألوا جهداً في جمع دواوين العرب وأشعارهم وكلامهم، رحلوا إلى البوادي، ولقوا

العرب، وأنفدوا أعمارهم فى تتبع كلامهم، وسماع لهجاتهم، وتدوين أشعارهم وأخبارهم، وأفرغوا فى ذلك مئات القنينات من الحجر، وملثوا من الدفاتر والقماطِرِ أحمالاً؛ ثم عادوا إلى الحواضر، فقرأوا وحقّقوا ودوّنوا، وصنّفوا وفنّوا، وخلّفوا ما لا يكاد يصدقه العقل من الكتب والتصانيف والشروح؛ منها الآثار الباقية حتى يومنا هذا، ومنها ما ذهبت به الحوادث، فضاع ولم يصل إلى أيدينا؛ ومنها ما حجبته عنا الأثرة أو الإهمال، وهو فى الدنيا موجود كمفقود، وذلك ما حُبس فى الخزائن الخاصة أو شبهها، أو عند من لا يقدّرونه قدره، ولا يحسّون عائده على الأمة.

والراغبون فى تحقيق تاريخ المدنّيات الشرقية القديمة، من العلماء المحدثين، لا يزالون فى طور البحث والتنقيب عن الآثار والأصول الأولى، التى خلّفها جهابذة العلم ونقاده، لأنها ضرورية لكتابة ذلك التاريخ على وجه يرضى عنه العلم، على ضوء ما عمله الأوربيون من البحث عن أصول المدنّيات القديمة، وخاصة المدنّيتين اليونانية والرومانية؛ ولا يستطيع الدارسون أن يكتبوا تاريخ العرب وآدابهم، قبل أن يظفروا بهذه الآثار الأدبية، ويفرغوا من تحقيقها ودرسها، على الوجه الصحيح.

لذلك كان حقا على المشتغلين بالأدب العربية فى العصور الحديثة، أن يبذلوا قُصارى جهدهم فى البحث والتنقيب عن نصوص الشعراء والكتاب والخطباء والمؤلفين منذ عصر الجاهلية العربية، وأن يجمعوا ما تفرق من ذلك التراث فى خزائن الكتب الخاصة والعامّة، من مختلف البلدان، وأن يتوفروا على دراسة كل أولئك، ويستخرجوا منه نتائجه، وحيثذ يمكن أن يوضع تاريخ أدبى عربى، وإسلامى، وعباسى، وأندلسى، . . . إلخ، قائم على أصول معتمدة، ومقدمات صحيحة.

ومن حسن الحظ أننا نرى طلائع النهضة فى هذا العصر، من المنقّبين المجدّين، يظفرون بين حين وآخر بشيء من أصول الثقافة العربية والإسلامية، وينشرونه، فيضىء جانباً من تاريخ الثقافة والحضارة كان مظلماً. والجهود الكثيرة الموفقة تبشر بأننا لا بد بالغبون من ذلك ما نريد، بفضل توجيه العلماء، وازدياد انتشار التعليم الجامعى فى البيئات الشرقية.

وديوان سراقه البارقي الذي تقدمه لجمهور القراء بهذه الكلمة، على ضآلة حجمه، وقلة أشعاره، هو صفحة من صفحات التاريخ السياسي والأدبي واللغوي، في عصر من أقوى عصور العرب، إبانَ الحكم الأموي في الشرق، ولذلك يحس فيه القارئ أسراً وجزالة لفظ، وقوة وفخامة معنى، مما ورثه الشاعر عن جيله، ثم هو صفحة من صفحات العروبة، تلمح فيها آثار البداوة، وعراقية المنشأ والمربى، الذي نشأ فيه الشاعر منذ كان، ذلك إلى مزايا أخرى في فنونه، كالوصف الذي تفوق فيه على كثير من أمثاله.

وقد عثر عليه الأديب «حسين نزار» التقاطاً، على ما بيّنه في مقدمته بقلمه. ويسرني أن أقدم هذا الناشر الناشئ لجمهور قراء العربية؛ فقد كان إلى عهد قريب جداً من طلاب الآداب بجامعة فؤاد الأول، وهو أول خريج في قسم اللسانيات من كلية الآداب هذا العام، بدرجة الشرف، وهو شاب مجتهد جدير بتحمل أمانة العلم، والاضطلاع بأعباء النشر الحديث. فقد أخذ أصوله عن أساتذته في كلية الآداب، واطلع على ما نشره الأوربيون من كتب العرب، وعرف مناهجهم، فكانت له ثقافة تمكنه أن يعمل في هذا الميدان بنجاح. وقد عرفته طالبا دؤوبا، لا يمل العمل، ولا يبرم بما يحمله من جهد في البحث والدرس والتحصيل؛ وهو الآن على ما عهدته من محالفة للدرس، وحب للعمل، ملؤه الأناة والرغبة في تذليل المشكلات حين يتصدىء له؛ بل هو فوق ذلك دائم على الاستزادة من درس اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، والفارسية والتركية، لأنها من أكبر أعوانه على ما هو بسبيله من البحث والتحقيق.

ولا أحب أن أعرض لعمله في نشر ديوان سراقه، بأكثر من أنه كان يعرض على منهجه وخطواته، وأنا أوافق على أكثر ما عمل، وقد أخالفه في بعض الرأي، لا حبا في المخالفة، ولا عجزا عن التوفيق بين وجهتي النظر، ولكن آثرت أن أحفظ له برأيه ومذهبه، ولم أرد أن أملى عليه رأبي إملاء، لأبقى على شخصيته وحرية فكره، كما عودته هو وزملاءه ذلك من قبل، في أثناء الدرس بكلية الآداب.

وليس نشره ديوان سُرَاقَةَ إلا عملاً أولياً جرى فيه شوطاً، استعداداً للسباق في الميدان، وأنا أتوقع منه عملاً كثيراً ناجحاً، وأرجو له التوفيق دائماً.

وقد قامت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» بالإتفاق على طبع ديوان سُرَاقَةَ، وتعهّدت بإذاعته ونشره بين قراء العربية، تحدوها الرغبة الكاملة في معاونة الباحثين والدارسين، على تحقيق أغراضهم العلمية، وخاصةً نشر المخطوطات القديمة، من دواوين الأدب، وأسفار التاريخ، ومصادر الثقافة على اختلاف منابعها، من شرقية وغربية، وأنا أزجي أجزل الشكر وأكمله، بالنيابة عن ناشر الديوان، إلى حضرات العلماء أعضاء هذه اللجنة الموقّرة، على ما يضطلعون به في تشييد ثقافة هذا الجيل من أعمال، وما يبذلون من جهود وأموال، وأخصُّ بالشكر حضرة رئيسها العالم الجليل، الأستاذ أحمد بك أمين، صاحب الفضل الأول في نشر هذا الديوان.

مصطفى السقا

القاهرة في ٢٥ من شوال سنة ١٣٦٦

أستاذ مساعد بكلية الآداب

١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٧

جامعة فؤاد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- سراقة البارقي

لعل جمهور الأدباء والمتأدين لا يعرف شيئا كثيرا عن سراقة البارقي، فهم يجهلون أخباره، كما يجهلون أشعاره، اللهم إلا البيت والبيتين، تندر في بعض كتب اللغة أو الأدب، وأما شخصية سراقة، وفنه الشعري، وتصرفاته في الحياة، فهي أمور مطوية، لا يدري عنها الناس إلا قليلا، حتى القدماء أنفسهم تناسوا أخباره وأشعاره، ولم يذكروه في طبقتهم من الشعراء الوصافين أو الأخلاقيين، الذين امتلأت بذكرهم كتب التراجم.

ولم يسبق لى أن قرأت قصيدة كاملة لسراقة، حتى وقع في يدي في يوم من الأيام فهرس الآداب بدار الكتب المصرية، فأخذت أقلب أوراقه، فإذا بهذا الاسم يسترعى نظري، فأعطيته وقفة خاصة، فأعرف أنه أحد الشعراء، ولم أدر من أى عصر هو، إسلامى أم أموى؟.

خطر لى بادئ الأمر أنه شاعر جاهلى، وما أكثر الشعراء الجاهليين الذين لا نعرف غير أسمائهم، على رغم دراستنا الأدب العربى الأعوام الطوال، ثم أخذ منى حب الاستطلاع كل مأخذ، فطلبت الديوان، فوجدته صغير الحجم، من القطع المتوسط، ثم قرأت مقدمته فعرفت أنه رواية محمد بن حبيب، وأن سراقة ليس شاعرا جاهليا، وإنما هو أموى. ثم قرأت شعره شيئا فشيئا، فحجب إلى؛ لأنى رأيت فيه من خفة الروح، وجميل الأغراض، ما شجعنى على المضى فى قراءته. وعندما فرغت من الديوان تبينت مقدار الخسارة التى لحقت الأدب العربى بإغفال دراسة مثل هذا الشاعر، فرأيت أن أنشر هذا الديوان، وأحى ذكر صاحبه؛ لأنه جدير أن يحيا، وجدير أن يدرس، وجدير أن يوضع فى طبقتهم مع من عرف من رجال الأدب العربى فى أزهى عصوره. وإن الخسارة لتظهر لنا جلية عندما نعلم أن

سراقة من الشعراء الذين ناقضوا جريرا والفرزدق، وعندما نعلم أن له من القصائد ما استحسنته قروم العرب وساداتهم.

عزمت على تعريف الأدباء بسراقة، لإيماني بجمال شعره، وخفة روحه، وارتفاع قدره، وخاصة في قصائده الطويلة، ولو أن سراقة كان شاعرا صغيرا لاستحق أن يتكلم عنه، فالتاريخ الأدبي الكامل يعنى بالشخصيات الكبيرة والصغيرة، لا يغفل منها شيئا، لأن فضل الفاضل من الشعراء، إنما يظهر جليا إذا وضع بجانب تقصير المقصر، كالعين الحوراء لا يبين حسن بياضها إلا بجانب شدة سوادها، وقد يكشف الشاعر الصغير من مزايا عصره ما لا يكشفه الشاعر الكبير؛ وإذن فدراسة الشاعر أمر ضروري لإكمال التصور الشعري للعصر، وإنى أستشهد هنا بقول الأستاذ لاسل أبركرومبي "Progress in Literature" في كتابه «التطور في الأدب» إذ يقول: «حقا إن أردنا الكتب تعطينا أوضح انعكاس للميول والتأثيرات والعادات والتقاليد والحركات والمواد الأخرى القيمة لدى المؤرخ الأدبي» ولكن آفتنا أو آفة تاريخنا الأدبي إهماله صغار الشعراء الإهمال الفظيع، فكان تصورنا للعصور الشعرية تصورا ناقصا؛ لأنه تناول عظام الشعراء، وغض النظر عن صغارهم، لقد سمعت أستاذا في قسم اللغة الإنجليزية بالجامعة يقول: «أردت ذات يوم أن أعرف بعض الشعراء العرب، فأخذت كتابا في التاريخ الأدبي، وجعلت أقلب صفحاته، فوجدته يصف كل شاعر بالعبارة المأثورة: «أحد فحول الشعراء» كأن لم ينبج العرب إلا شعراء فحولاً؟ فكيف يُطلب منا تصور العصور الشعرية تصورا واضحا جليا، ونحن لا نعرف إلا فحول الشعراء؟! .

أرجو أن أكون بنشري شعر سراقة قد أضفت إلى المعروفين من رجال الأدب العربي ثروة جديدة، وكشفت عن شخصية نستطيع أن نصلح بها بعض الأحكام الأدبية القديمة، ونضع الحق في نصابه، ونعطي الدارسين فرصة حسنة لتقدير شاعر كريم على الأدب العربي، يستحق التقدير في ميزان النقد الصحيح.

بحثت عن أخبار سراقة لأتبين من هو؟ وما عصره؟ وما مكانته في قومه وعند أهل زمانه؟ وجعلت أقلب كتب المحاضرات، والموسوعات، والمجموعات الأدبية،

والمظان التي يرجح أن تكتب عنه شيئاً، أو تورده له من شعره بعض الأبيات، فإذا بي أجد ظاهرة غريبة حقاً، هي إهمال القدماء سراقه إهمالاً يكاد يكون تاماً، فهو لم يرد له ذكر في معظم هذه الكتب. والذي ذكره منها أشار إليه إشارة موجزة أشد الإيجاز، كما نرى ذلك في كتاب الأغاني الذي أورد له مقطوعتين من شعره في تضاعيف ترجمته لشاعرين آخرين هما كثير وجريير. وكان أكثر من كتب عنه محمد بن حبيب في مقدمات القصائد، وأخذت أسأل أساتذتي والكتب، حتى ظفرت بما أستطيع أن أسميه ترجمة بعد لأي وجهد.

سراقه هذا الذي أبحث عنه، هو سراقه بن مرداس البارقي الأصغر، وهناك شاعران آخران يعرف كل منهما بسراقه بن مرداس، ويميز أقدمهما بالبارقي الأكبر، وهو الذي اشترك في حرب مع قريش، حين قتلت قريش أبا أزيهر الدوسى، فقتلت به الأزدي جماعة من أشرف قريش، وجعلت عليهم خراجاً كل عام، غير من قتلت منهم، وهو القائل (١):

لقد علمت بنو أسد بأننا	تقحمتا المعاشر معلميننا
تركنا تسعةً للطير منهم	بمكةً للسباع مطرحيننا
فلما أن قضينا الدين قالوا:	نريد الصلح قلنا: قد رضينا
وضعنا الخرجَ موظوفاً عليهم	يؤدون الإتاوة صاغريننا
لنا في العير دينارٌ مسمى	به حَزَّ الحلاقم يتقوننا
ولولا ذلك ما عدت قريشٌ	شمالاً في البلاد ولا يميننا

وقد تُنسب هذه الأبيات لمُعقَّر بن حمار البارقي أيضاً، ولم أجد لسراقه هذا ذكراً ولا شعراً في كتب الأدب المعروفة بين أيدينا.

ويشاركهما في الاسم شاعر آخر يسمى سراقه بن مرداس، ويميز بالسلمى، نسبة إلى سليم، وهو ابن الخنساء الشاعرة المشهورة، وأخو العباس بن مرداس الشاعر المخضرم المعروف، وسراقه هذا هو الذي يقول في يوم أوطاس من أيام غزوة حنين، حين طارده بنو نصر على فرسه الحقباء (٢):

(١) الأمدى: المؤلف والمختلف، ص ٣٤ طبعه ١٤٥٣هـ.

(٢) نفس المرجع، ص ١٣٥.

ولولا اللهُ والحَقَبَاءُ فَاظَتْ
عِيَالِي وَهِيَ بَادِيَةُ العَرُوقِ
إِذَا بَدَتْ الرِّمَاحُ لَهُمْ تَدَلَّتْ
تَدَلَّتِي لَقَوَّةٍ مِنْ رَأْسِ نَيْقِ

ولم يرد لسراقة هذا أيضا ذكر في الموسوعات الأدبية .

أما سراقة الأصغر، الذي نتحدث عنه هنا، فهو سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد بن عوف بن عمرو بن سعد بن ثعلبة بن كنانة بن بارق، وبارق بطن من الأزد، سميت باسم سعد بن عدى بن حارثة، الذي اكتسب اسم بارق لتزوله جبلا بالسراقة، يُعرف بهذا الاسم، وسعد هذا - أو بارق - أخو خزاعة الذي نسبت إليه قبيلة خزاعة .

لم أستطع أن أعرف شيئا عن مولد سراقة ونشأته، إلا ما يمكن استنباطه من شعره، وإنه لقليل؛ وأظن أن كثيرا منه قد ضاع كما ضاع شعر غيره من الشعراء .

ويظهر لنا سراقة - أول ما يظهر - عام ٦٦ هـ محاربا للمختار نائرا عليه مع أشرف الكوفة، بعد استيلائه على ولايتها بقليل، ولكن المختار لا يلبث أن يخمد الثورة، ويقبض على زعمائها، ومن بينهم سراقة، فيأمر بحبسهم، فيعتذر إليه سراقة، ويمدحه:

نزونَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا	الَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا
وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنَا	خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئَا
وَطَعْنَا صَائِبَا حَتَّى انْتَشَيْنَا	لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبَا طَلْحُفَا
بِكُلِّ كَتَيْبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا	نُصِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمِ
وَيَوْمِ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُسَيْنَا	كَنْصُرُ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ
سَأشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ العَفْوَ دِينَا	تَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْى فإِنِّي

ثم يدعى أنه رأى الملائكة، تحارب مع المختار - وهذا ما كان يزعمه المختار - وأن الذي هزمه وأسر قومه هم الملائكة، الذين كانوا يلبسون الثياب البيض، ويركبون الخيل البلق، ويحلّقون بها بين السماء والأرض، وفي هذا الموقف تظهر سعة حيلة سراقة ودهاء المختار السياسي؛ فسراقة يستغل آراء المختار، ولا يكتفى بهذا، بل يستغل أشياء أخرى، فيقول للمختار بعد أن أمر بقتله: إنك لتعلم أنه ما هذا أوان تقتلني فيه؛ فيقول له المختار:

فمتى أفتلك؟ فيقول: إذا فتحت دمشق، ونقضتها حجرا حجرا، ثم جلست على كرسى فى أحد أبوابها، فهناك تدعونى، فتقتلنى وتصلبنى. وهنا يظهر دهاء المختر السياسى؛ فإنه لا يدع الفرصة تمر من بين يديه، دون أخذ كل ما يمكن أخذه منها، فيرد عليه قائلا: صدقت. ثم يلتفت إلى صاحب شرطته غاضبا، ويقول: ويحك؟ من يخرج سرى إلى الناس؟ إذن فهذا سرّ للمختر، وإنى لموقن أنه ليس بسرّ له، وإنما سرّ من تبشير سراقه له بفتح دمشق، وأحب أن يُعلم من حوله هذه البشرى، وأنها من نيّاته. ثم أمر سراقه بصعود المنبر، والقسم أمام الملائكة بأنه صادق فى رؤيته الملائكة، وإن فى هذا القسم لدعما لمزعم المختر هذا ومزاعمه الأخرى أيضا. ثم عفا عنه المختر بعد أخذه كل ما يريد منه.

هذه إحدى القصص التى ذكرت لنا ما كان بين سراقه والمختر، وهناك سياق آخر لهذا القصة، مفصل تفصيلا كبيرا، يختلف بعض الاختلاف عن السياق السابق، ولذلك أوردته هنا من العقد الفريد^(١) قال ابن عبد ربه:

«أخذ سراقه بن مرداس البارقي أسيرا يوم جبّانة السبيح، فقدم فى الأسرى إلى المختر، فقال:

امنّ علىّ اليوم يا خير معدّ يا خير من لبيّ وصلّى وسجدّ
فعفا عنه المختر، وخلقى سبيله، ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث، فأتى به المختر أسيرا، فقال له: ألم أعفُ عنك، وأمنن عليك؟ أمّا والله لاقتلنك، قال: لا والله، لا تفعل إن شاء الله، قال: ولم؟ قال: لأن أبى أخبرنى أنك تفتح الشام، حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معكم، ثم أنشده:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا حملنا حملة كانت علينا

الآيات.

فخلقى سبيله، ثم خرج إسحاق ومعه سراقه، فأخذ أسيرا، وأتى به المختر، فقال: الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدو الله، هذه ثالثة، فقال سراقه: أمّا والله، ما هؤلاء الذين أخذونى، فأين هم؟ لا أراهم! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١ ص ١٨٣ طبعة بولاق.

بيض، وتحتهم خيل بلق، تطير بين السماء والأرض، فقال المختار: خلوا سبيله ليخبر الناس، ثم دعا لقتاله، وقال:

ألا من مبلغ المختار عنى رأيتُ البلقَ دُهْمًا مُضْمَرَاتِ
أرى عيني ما لم ترأياهُ كَلَانًا عَالَمٌ بِالْتَرَهَاتِ

ولم أجد لهذا التفصيل أثرا في كتب التاريخ، فهي لا تذكر لنا خروج إسحاق بن الأشعث على المختار.

نجا سراقه بفضل ذكائه ودهائه، فذهب إلى مصعب بن الزبير بالبصرة، مع من ذهب من أشرف الكوفة؛ وهناك هجا المختار، ودعا لقتاله بالأبيات السالفة الذكر، وفضحه في العالمين. ثم لا أدري ماذا حدث له بعد ذلك، ولكنني أظن أنه ذهب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق، ومكث هناك حتى مجيئه لقتال مصعب. فخرج معه سراقه، مصاحباً أخاه بشرا الذي عرفه هناك، فاستظرفه وقربه. وعندما تولى بشر الكوفة ضمه إليه، وجعله أحد ندمائه وسُماره، يتلاعبان ويتضحكان، كما تذكر لنا قصة السيل في ديوانه، قال الراوي:

«قحطَ الناسُ في زمن بشر بن مروان؛ فخرجوا فاستسقوا وبشر معهم. فرجعوا وقد مطّروا، ووافق ذلك سيلا جاء من الليل، فغرقت ناحية بارق وبنى سليم. فخرج بشر من الغد ينظر إلى آثار المطر حتى انتهى إلى بارق، فإذا الماء في دار سراقه بن مرداس البارقي، وسراقه قائم في الماء. فقال: أصلح الله الأمير، إنك دعوتَ أمس ولم ترفع يديك، فجاء ما ترى، ولو كنت رفعت يديك لجاء الطوفان، فضحك بشر، فأنشأ سراقه يقول:

دعا الرحمنَ بشرٌ فاستجابا لدعوته فأسقانا السحابا
وكان دعاءُ بشر صَوْبَ غَيْثٍ يُعَاشُ بِهِ وَيُحْيِي مَا أَصَابَا
أغرُّ بوجهه يُسْقَى وَيُحْيَا وَنَسْتَجْلِي بِغُرْتِهِ الضَّبَابَا

ويظل سراقه طوال عهد المختار ومصعب وبشر ظاهرا أمامنا؛ فيمدح إبراهيم ابن الأشتر الذي انتدبه المختار لقتال ابن زياد سنة ٦٦، ويورثي عبد الرحمن بن

مخنف الذي قتلته الخوارج عام ٦٨هـ، ثم يحرضه بشر الذي كان مغرما بتحريض الشعراء، وإثارة بعضهم على بعض، حتى يتهاجوا ويتلاحوا، ويمسك بعضهم بتلابيب بعض، يحرضه على هجاء جرير وتفضيل الفرزدق، فيقول قصيدته:

لَمَنْ الدِيَارُ كَأَنَّهُنَّ سَطُورُ قَفَرٌ عَفْتُهُ رِوَامِسُ وَدَهْوَرُ

ويقول فيها:

إِن الفِرْزَدِقَ بَرَزَتْ حَلْبَاتُهُ عَفُوا وَعُودَرَ فِي الغِبَارِ جَرِيرُ
ذَهَبَ الفِرْزَدِقُ بِالفِضَائِلِ والعُلَى وَابْنُ المَرَاغَةِ مُخَلَّفٌ مَحْسُورُ

وقد نسخ بشر القصيدة، وأرسلها لجرير، وأمره أن يجيب عنها. فثارت ثورته،

ولم ينم ليلته حتى نظم قصيدته:

يَا صَاحِبِي هَلِ الصَّبَاحُ مَنِيرُ أَمْ هَلِ لِلوَمِ عَوَاذِلِي تَفْتِيرُ؟

ويقول فيها:

أَسْرَاقٌ قَدِ عَلِمْتُ مَعْدُ أُنِي قَدِمًا إِذَا كُرِهَ الخِيَاصُ جَسُورُ
أَسْرَاقٌ إِنَّكَ قَدِ غَشِيْتَ بِيَارِقِ أَمْرًا مَطَالَعُهُ عَلَيْكَ وَعُورُ

وهناك خبر آخر^(١) عن سبب اشتباك سراقه بجرير، يقول إن الذي حرّضه هو

محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زُرارة، الذي بذل أربعة آلاف درهم وفرسا،

لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقه،

وكان ذلك سبب اتصال الهجاء بينهما. ويظهر أن وقت الخصومة لم يطل، فإننا لا

نجد في ديوانه إلا قصيدتين يهجو فيهما جريرا، كما أن جريرا لم يذكره في ديوانه إلا

نحو ثلاث مرات. وقد أُنجم سراقه حين سمع شعر جرير، بل لا نلبث أن نراه

مخاصما للفرزدق، مغاضبا له، مفضلا جريرا عليه، يقول:

قَدِ كُنْتُ أَحْسَبُ يَا بَنَ قَيْنِ مُجَاشِعِ أَنْ قَدِ خَصَاكَ فَلَا تَغْطُ جَرِيرُ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ عَلَى تَبَاغِيكِ الخَنَا أَنْ الخِصِيَّ إِذَا اسْتُفْزِزَ دَعُورُ

ويذكره في مطولته:

إِن الأَحْبَبَةَ أَدْنُوا بِتَسْرَحِلِ وَبِصُرْمِ حَبْلِكَ بَاكِرَا فَتَحْمَلِ

(١) أبو الفرج الاصفهاني: الاغانى (ج ٨ ص ٦٨ طبعة دار الكتب المصرية).

حيث يقول:

فإذا تقبل ربنا من شاعر فَعلى الفرزدق لعنة المتبهل

وفى هذه الفترة اعتقد أنه مدح بشرا ببعض الشعر، ولكن ذلك الشعر لم يبق منه

إلا مقطوعة السيل.

ثم نسمع صوت سراقاة آخر مرة عام ٧٥هـ ينشد رثاءه عبد الرحمن بن مخنف

الذى قتله قطري بن الفجاءة:

ثوى سيد الأزدِين أزدِ شُوءَةٍ وأزدِ عُمَانَ رَهْنِ رَفْسِ بَكَازِرِ
وقاتلَ حتى ماتَ أكرمَ مِيتَةٍ بأبيضَ صَافٍ كالعَقيقَةِ باترِ

وقصيدته:

إن يَقتلوكَ أبا حَكيِمِ غَدْرَةٍ فلقد تَشُدُّ فتَقْتُلُ الأبطالَا
إن يُثَكِّلونَا سَيِّدًا لِمُسُودٍ ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ ماجِدِ مفضالا

ولا نسمع صوته مرة أخرى، وإنما نلمح اسمه فى «البداية والنهاية» عام ٧٩هـ

فى قائمة المتوفين، حيث يقول ابن كثير: إنه هجا الحجاج، وهرب منه إلى عبد

الملك، وأقام بالشام حتى توفى ذلك العام. كما نلمحه فى أمالى الزجاجى، الذى

يقول إنه مات فى حدود ثمانين من الهجرة. ويروى الجاحظ قصة لسراقاة فى كتاب

«المحاسن والأضداد» فى باب «فضائل الدهاء والحيل» يقول إنها حدثت عندما كان

خالد بن عبد الله القسرى واليا على الكوفة، وخالد هذا تولى الكوفة من قبل الخليفة

هشام بن عبد الملك عام ١٠٦هـ بعد عزل عمر بن هبيرة الفزارى، ولذلك أرجح أن

القصة حدثت فى عهد بشر بن مروان، لا خالد بن عبد الله.

هذا كل ما نعرفه عن تاريخ سراقاة الذى ظهر على مسرح الشعر عام ٦٦هـ،

وأنزل عليه الستار عام ٧٩هـ، فما هى إلا مدة قصيرة، وإن كانت ملأى بالحوادث،

وخاصة الحوادث الحربية.

اتفق كل من كتب عن سراقاة أنه كان ظريفا، زوارا للملوك، محبوبا لديهم ودليل

ذلك كلامه لبشر حين أغرق السيل بيته. وأذكر هنا قصة أخرى، نرى فيها شيئا كثيرا من ظرفه، فقد دبر كيدا ظريفا لأحد أصدقائه، وإنه لكيد لا يختلف عن مكاييد أظرف المصريين اليوم في شيء. يقول الجاحظ في كتاب «المحاسن والأضداد» باب «محاسن الدهاء والحيل»:

«كان الأحوص بن جعفر المخزومي يتغدى في دير اللُّج، في يوم شديد البرد، ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقي، فلما كان على ظهر الكوفة، وعليه الوبر والخز، وعليهما الأظمار، قال حمزة لسراقة: أين يذهب بنا في البرد، ونحن في أظمار؟ قال: سأكفيك؛ فبينما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل، فحرك سراقة دابته نحوه، وواقفه ساعة، ولحق بالأحوص؛ فقال له: ما خبرك الراكب؟ قال: زعم أن الخوارج خرجت بالقُطُطُطَانَة، قال: بعيد، قال: إن الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر. وكان الأحوص أحد الجبناء، فثنى رأس دابته، وقال: ردوا طعامنا تتغدى في المنزل. فلما حاذى منزله قال لأصحابه: ادخلوا، ومضى إلى خالد بن عبد الله القسري؛ فقال: خرجت خارجة بالقُطُطُطَانَة. فنادى خالد في العسكر فجمعهم، ووجه خيلا تركض نحو اللُّج، لتعرف الخبر، فأعلموه أنه لا أصل للخبر. فقال للأحوص: من أعلمك بهذا؟ قال: سراقة، قال: وأين هو؟ قال: في منزلي. فأرسل إليه من أتاه به، قال: أنت أخبرته عن الخارجة؟ قال: ما فعلت، أصلح الله الأمير، قال له الأحوص: أتكدبني بين يدي الأمير؟ قال خالد: ويحك! اصدقني، قال: نعم، أخرجنا في هذا البرد، وقد ظاهر الخنز والوبر، ونحن في أظمارنا هذه، فأحببت أن أردّه، فقال له خالد: ويحك! وهذا مما يتلاعب به؟!».

وكان سراقة أيضا شديد الاعتداد بقلبه بارق، متعصبا لها، بعد أن محا الإسلام أمر العصيان، ولكنها عادت سيرتها الأولى في عهد بني أمية؛ بفضل السياسة التي انتهجوها، سياسة التفريق بين القبائل، والميل إلى المضربة تارة، وإلى اليمية أخرى، وقصر الوظائف على إحداها نكاية في الأخرى. ولا يعتد سراقة بعشيرته بارق وحدها، وإنما يفخر بقلبه الأزدي، بل بجميع القبائل اليمية، مما نراه شائعا في قصائده ومقطوعاته، فهو يذكر في:

أبتُ عينَ ابنِ عمِّك أن تَناما
 جمهورَ القبائلِ اليمينيةِ واحدةً واحدةً . يسبغُ عليها كلَّ محمِدة ، فهذه الأزد :

وقد أحمى الحقيقة كل يوم
 أناسُ يامنُ الجيرانُ فيهم
 وهذه مَذْحِج :

ومذحج إذ تقر بهم جميعا
 وهذه همدان :

وفي همدان ضرب حين تلقى
 يطير معاصما ويبين هاما
 وهذه كندة ، وهذه خثعم ، وهذه . . . ، وهذه . . . إلى آخر القبائل اليمينية ،
 يمدحها ويسبغ عليها كل صفة كريمة ، ثم يختم القصيدة بهجاء نزار وتعييرها :

فعدا مثل ذا يا بنى نزار
 ولن تجدا ملوكا فى نزار
 وذلك عليكما أمسى حراما
 وآباء كآبائى كراما

وهناك قصص أخرى تدل على ذلك الاعتداد ، فهذه قصته مع كثير ، وتلك قصته مع إبراهيم بن الأشتر النخعي اليمنى ، الذى حارب فى صف المختار ضد اليمينيين والربعيين ، أى كان مناهضا لسراقة وقومه ، ولكنه عندما قتل إياس بن مضارب وهددته ربيعة ، لم يتذكر سراقة العدا الذى بينه وبين إبراهيم ، والحلف الذى بينه وبين ربيعة ، وإنما تذكر القرابة بينه وبين إبراهيم ، فهما يمنيان ، نراه يمدحه ويهجو حلفاءه من ربيعة :

أتوعدنا ربيعة فى إياس
 حرورى تكتفه الموالى
 وأى الدهر أوعدنا قبيل
 وإبراهيم معتز هزير
 وعض برأسه سيف ثقيل
 يمانية تذود الناس عنه
 له فثة تقول كما يقول
 وتخطر فى جوانبها الفحول

وبسبب تلك العصية الغالية ، وهذا الغلو الجموح ، أطلقت عليه لقب «شاعر الأزد» أو «شاعر اليمن» فى تلك الفترة من الزمن .

٢- شعر سراقفة

إذا ألقينا نظرة عامة على شعر سراقفة وجدنا أنه نظم الشعر في ثمانية أغراض، هي: الاستعطاف، والحكمة، والحماسة، والفخر، والمدح، والهجاء، والوصف، ولكن يسترعى نظرنا الهجاء، فهو الغرض الذي غلب على غيره في الديوان، ويتلوه الرثاء، ثم يتنازع الفخر والمدح والحكمة المكان الثالث، وأحب أن أتناول بعض هذه الأغراض بشيء من التفصيل والتحليل.

الحكمة

وأبدأ بالكلام على حكمة سراقفة، أو المذهب الاجتماعي الذي سار عليه، وتحدث عنه كثيرا في ديوانه، نائرا لأجزائه في القصائد والمقطوعات المتعددة، فإذا جمعنا هذه النظرات الأخلاقية المنتشرة في الديوان، اجتمع لنا مذهب أخلاقي كامل، وتكشَّف عن رجل أخلاقي ناقد للمجتمع. وإني لمحلل بعض نظراته فيما يلي:

يبدأ سراقفة مذهبه بالنصح في الأمور العائلية، فينصح بالزواج من ذات الخُلُق والدين وإن تكن غير وسيمة، فالمورد العذب كثير الزحام:

لا تطلبين فتاة من وسامتها ما لم يوافقك منها الدين والخُلُق

وهذه هي النظرة الإسلامية التي يمثلها الحديث الشريف: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ويقول: ابتعد جهدك عن هؤلاء النسوة اللاتي يتحشمن ويتلففن، ثم يسرن ليلا في جوخي.

* وهل تَسْرِي بجوخي الحرائر *

وجوخي هذه محلة بالعراق، لعلها كانت مرتاد أهل الملاهي والعبث والمجون. ثم عليك بالرفق مع زوجك وأولادك، فهو جامع الأهل، ومسبغ أسباب الهدوء والسعادة؛ أما الحماسة والهوج فلا يجلبان إلا النحس والشقاء لصاحبهما:

ثم الأقارب، هل يدعك سراقه لا تدرى كيف تعاملهم؟ لا، وإنما ينصح باحترام ابن العم، فلا تهنه أدنى إهانة، ولا ترفع كفك لتصفعه؛ وإنه يكرر ذلك القول مرتين، دليلاً على إكباره واستصعابه، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك فيدعو على نفسه بالشلل لو أمسك بتلابيه أو ناصيته:

ولستُ بلاطمٍ وجهَ ابنِ عمي وشُلَّ الخمسُ مني إن نصوتُ
أما قينة أقرباتك فلا تلَّهُ بها، ولا تقتفِ أثرها، لتتطفل عليها، وتتطلع على أسرارها، وهى النظرة الإسلامية الممثلة فى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦).

ثم يترك سراقه الأمور العائلية إلى الإخوانية، فينصح بملازمة الحلما، وتجنب السفهاء، فإن الصديق مرآة الصديق، فإن جالست السفیه فأنت مثله، وإن جالست الحكيم فأنت الحكيم:

فإنك والقرينَ معاً سواءُ كما قدَّ الأديمُ على الأديم
وينصح فى السلوك العام بعدم السماح للكلمة القبيحة بالمرور على اللسان، فتدنيه وتلطخه بالأقذار، و * دَعِ الْفَوَاحِشَ مَا اسْتَطَعْتَ لِأَهْلِهِنَّ * فإنها لا تليق بك، وأنت لا تليق بها، ولا يعنى هذا أن تكون ضعيف الإرادة خائر العزيمة، لا، * فإذا هممتَ بأمرٍ صدقِ فافعلْ * فهنا الإرادة والعزيمة، لا فى اللهو والخلاعة، وإذا ضاقت ذات يدك، وتدهورت بك الحال، فلا تلبس ثوب الذل والخنوع، ولا تنحن لغير الوهاب المتفضل، فتوسل إليه وحده؛ فهو القدير على كل شيء. أما إذا تألق نجمك، وازدادت ثروتك، فلا تبطر، فتتبع دواعى اللهو وأسبابه؛ فإن هذا ممزق عرضك، مضيع شرفك، فصن نفسك كى يسان عرضك، وكن كريماً جواداً، لا تبخل فى مقدم البذل، وإذا قدرت فاعفُ. ولا تتحين الفرصة حتى إذا وجدت الدليل أثقلت ظهره بالظلم والجور، لا، ليس من كريم الخلق أن «يرى مولاك مهتضماً» وفى قدرتك أن ترفع عنه الضيم، وتحميه من الذل. وإذا اختلفت الآراء، وضلت الحلوم، وأشكل الأمر، وصعب المخرج، فتشبه بأسلافك الكرام، واطلب معالى الأمور، فإنك ذو النسب الرفيع السامى:

كذلك نشأتُ في قومي صغيراً وربّونى بذلك إذ ربوتُ
 هذا هو المذهب الذى نشئُ عليه سراقه، وأخذ نفسه به، وإنه لمذهب تختلط
 فيه المثل العليا الأخلاقية الجاهلية بالمثل الإسلامية اختلاطاً عجيباً، ولكنه مذهب
 سليم فى مجموعته لا تشويه شائبة، وقد يقول قائل: إذا كان سراقه رجل أخلاق،
 فما باله يفرم بالهجاء، ومناقضة الشعراء، وإن هذا ينافى التمسك بالفضائل وإيثار
 الصالحات من الأقوال والأفعال؟.

ولا أجد عسراً فى الجواب عن هذا الاعتراض، فإنما كان سراقه يهجو الشعراء
 هجاء قليلاً، دفاعاً عن حوزته وعشيرته، كما كان مؤثراً للعفة فى القول، والبعد عن
 الصراحة المؤذية، بل كان هجاؤه جارياً مع المثل الأخلاقية التى رسمتها البيئته
 العربية، والنظم الإسلامية فى ذلك العصر، كالتعير بضعف القبيلة، وجبنها عند
 اللقاء، وما إلى ذلك من النقائص العامة، أما إعلان المخازى والمساوى، والتشهير
 بالمحصنات من النساء، وما شاكل ذلك، فكان أبعد شئ عن خيال سراقه ولسانه،
 وما علمناه إلا عف اللسان والضمير، نزيه القول. كما أن عظم الذنب يقع على نفس
 البيئته التى وجد فيها سراقه، فهى التى دعت لوجود النقائص، حتى إننا نجد جريراً
 الذى اتفق كل من كتب عنه على تدينه، نجده تصدر منه نقائضه المفحشة البذيئة،
 المملأى بالعورات والمساوى، التى كان يستغفر منها جرير نفسه.

الوصف

وأنقل بعد هذا إلى الفن الذى أبداع فيه سراقه وفاق أقرانه، وهو الوصف،
 وخاصة وصف الخيل، ليس فى الديوان غير قصيدة واحدة فى وصف الخيل،
 ولكنها طويلة، ولا تتناول إلا ذلك الوصف، فلا تخرج عنه إلى شئ آخر كالقصائد
 العربية الأخرى، ولعلها أعظم قصائد سراقه، كما أنها من أعظم ما وصل إلينا من
 الأشعار العربية فى وصف الخيل.

يبدأ سراقه القصيدة بقوله:

زعمتُ ربّعة وهى غير ملومةً أنى كبرتُ وأن رأسى أشيبُ
 فيذكر نساء قومه، وحبه الخيل، وصرفه الأموال الكثيرة عليها، واعتناؤه بها.

وجعلته دون العيال شتاءه
والقيظ حين أصونه في ظلة
وله ثلاث لقائح في يومه
حتى انجلي وهو الدخيل المقرب
وحشيتها قبل الغروب مشقبة
ونخيره مع ليله متأوب

ثم يتقل إلى وصف فرسه وصفا مفصلا دقيقا، يتناول كل جزء من جسمه فيبرزه لنا أحسن إبرار، وما أشبه سراقه في موقفه هذا بالآلة المصورة، تسلط عينها على ذلك الفرس العظيم الجسيم، فتصوره لنا مقبلا ومدبرا، ومعرضا، تصور لنا رأسه وجسمه وقوائمه، تصور لنا كل شيء منه، فلا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا جلتها في مناظرها، وأبانت عنها أحسن إبانة، ولكنى حين أشبه سراقه بالمصورة أظلمه ظلماً كبيراً فهو لا يكتفى بعملها الآلى اللاقط للحقيقة، وإنما يضيف على تلك الصور من قلبه الحب والعطف والعناية، فتساب على المناظر، فتبهها البريق والطلاوة، والحياة المشبوبة العواطف، فهو أشبه بعظماء الرسامين الذين تركوا لنا الألواح الخالدة، فهو يأخذ الألفاظ الميتة فينفث فيها من روحه، فإذا بها عظام تكتسى لحما، ولحم يكتسب قوة، وقوة تفيض بالحياة، وإذا بكل ذلك أمامنا يصير جوادا يتوفز بالنشاط، وتجري في عروقه الدماء، مثله مثل الفنان الخالد يمسك الأدهان والألوان، فيجري بريشته على الورق الصقيل، وإذا بالألوان تتداعى، ويسعى بعضها إلى بعض، فتآلف وتجتمع في صورة تفيض بالبهاء والجلال، وتشع منها العظمة والخلود.

ها هو ذا سراقه واقفا أمام فرسه المنتصب كالتمثال، وكأنه قد أمسك بريشته، وأخذ يرسم الخطوط، فيخرج لنا الصورة إثر الصورة، تمثل الفرس أجمل تمثيل وأحسنه، ثم يثور حبه وإعجابه بهذا الفرس الذى بذَّ الأفراس، فيجمع ألواحه، ويسير نحوه، فيربت على ظهره حانيا، ربتات فيها الحب والعطف والإعجاب. وليس هذا مما يثير الدهشة، فقد رياه سراقه منذ الصغر، حتى بلغت به الحال إلى ما نراه في المناظر التى خلفها لنا سراقه فى آيائه. ولم يكن سراقه يقتصر على هذا الإعجاب والفخر، بل يظهرهما لقومه، ويتيه عليهم بفرسه، ويفعل ذلك مرارا وتكرارا. وإذا بأحدهم ذات يوم يضيق صدره بهذا الإعجاب وذلك التيه، فينبرى لسراقه، يرد عليه فخره، مشيدا بفرسه هو، فإذا باللجاج يتعالى، وإذا بهما يتراهمان على السباق فى يوم معلوم.

أخذ كل فرد من المتشاركين فى السباق يستعد له: يدرّب فرسه، ويهيئه للعدو الطويل السريع، ويعنى به كل عناية، حتى إذا كانت ليلة السباق تجمعوا فى الموضع الذى سيبدءون منه، وأخذ كل منهم يحدد له موضعاً للوقوف فيه غداً، وتركوا الأفراس طليقة ترعى وتستريح، استعداداً لليوم المشهود، وعندما بزغ فى السماء نور الفجر المتورد فطمس النجوم والكواكب، استدعى كل امرئ فرسه، وخلع عنه جلّه، وأوقفه فى نقطة البدء، منتظراً إشارة السباق.

انطلقت الخيل مندفعة، ولكن فرسه يبرز من بين الصفوف، لا يلوى على شىء، إذ الخيول الأخرى مجهدة متعبة، يضربها فرسانها بالسياط والمهاميز، ولكن أين هى من قوة فرس سراقه ونشاطه؟! .

أخذ الفرس يسابق الريح للوصول إلى الشرف البعيد الذى استأنس بمرآه، وإذا بكوكبة من أبناء القبائل المختلفة تتابعه النظر، معجبة مهللة، أما الخيول الأخرى فلا يحمسها ويهلل لها إلا أبناء قبائلها، وأخيراً انتهى فرس سراقه إلى الغاية، وأحرز قصب السبق.

لا يعتبّ على القارئ، فقد سحرتنى حماسة السباق، وتتبع المتسابقين، والإعجاب بفرس سراقه، عن اقتطاف بعض الأبيات من القصيدة، ليجول فيها خياله وخاطره، ويمتّع عينيه وأذنيه وقلبه، ولكن القصيدة فى الديوان، وكلنا نستطيع أن يرجع إليه، ومع ذلك لن أضن بإيراد بعض الأبيات هنا:

والخيلُ تعذّلتُ على إمساكها	وتقولُ قد أهلكتَ ما لا يُحسبُ
فحلقتُ لا تنفكُ عندي شطبةٌ	جرداءُ أو سبَطُ المشدّة سَلْهَبُ
أما إذا استقبلته فيقودهُ	جِذعٌ علا فوق النخيل مُشْدَبُ
ومُعَرِّقُ الخدينِ رُكْبٌ فوقه	خُصَلٌ وسامعةٌ تظلُّ تَلْبُ
راهنتُ قومي والرهان لَجاجةٌ	أحمى لمُهْرَى أن يُسَبَّ وأرغبُ
بتّا برأسِ الخطِّ نقسمُ أمرنا	ليلا يجول بنا المرءُ ويهضبُ
عجّلتُ دفعتها وقلتُ لفارسي	راكضُ به إن الجوادَ المُسْهَبُ
حتى أتى الصّفين وهو مبررٌ	بمكانه رأى البصير مُغْرَبُ

وأرجو أن يلاحظ القارئ الحركة، بل العدو السريع في الأبيات الأخيرة من القصيدة، فالشاعر يعدو لاهث الأنفاس، يسابق الأوزان، كما يسابق فرسه الأفراس . شاعت هذه القصيدة بين العرب في المجمع، وجعلها القوم حديثهم في المجالس، حتى قال عنها الحجاج: «من أراد أن يبصر بالخيال فليرو قصيدة باري هذه» وإنما لنلمح في هذه الكلمة التي أثرت عن الحجاج ما يرفع من قصيدة سراقه، فهو لم يضيفها إلى صاحبها وحده، وإنما نسبها إلى قبيلته، كأنها مفخرة من مفاخرهم، ومأثرة لهم في العرب، وكأنها أشبه بمعلقة عمرو بن كلثوم، التي تضاف إلى تغلب، وتعد من مفاخرهم، ويعتمدون عليها في مفاخرة القبائل ومساماتها، حتى شاع ذلك في العرب، وقال بعض الشعراء، يهجو تغلب في اعتمادها على الفخر بهذه القصيدة:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وبالرغم من هذا الإبداع، لم يذكر أحد من الرواة سراقه في طبقة وصاف الخيل المشهورين، ولا ندرى بسم نعلل ذلك الإغفال، لأن شعر سراقه ضاع من أيدي الرواة، ولم يعرفه إلا قلة منهم أم لأن اختلاط اسمه باسم سلفه البارقي الأكبر، واسم سراقه السلمى، أحدث لبسا وغموضا في نسبة الأشعار الخاصة بكل واحد منهم؟ وربما كان مرجع ذلك إلى أن كثيرا من مجاميع الكتب التي اختارها كبار الأدباء والرواة قديما، وضمونها أشعار القبائل فقد في الحوادث التي طرأت على البلاد الإسلامية في العصور المختلفة.

عرف جماعة من الشعراء بوصف الخيل، هم: امرؤ القيس، وعلقمة الفحل، وأبو دواد الإيادي، وطفيل الغنوي، والنابعة الجعدى، وسلامة بن جندل، فأردت أن أوازن بينهم وبين سراقه، حتى أعرف موضعه منهم.

وأفتح الموازنة بشعر أمير الشعراء امرئ القيس، وقد وصف الخيل في عدة قصائد، ولكنه وصف قصير لن أقف عنده، وإنما أقارن قصيدة سراقه بتلك القصيدة التي فاخر بها امرؤ القيس علقمة الفحل التي مطلعها:

خيلى مرأبى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وهو يصف الفرس فيها بما يقرب من الثلاثين بيتا، يبدأ بتصوير جسمه جزءا جزءا،

وهو يصف أجزاء لم يصفها سراقه، ولكنه يصفه من جانب واحد فقط، أما سراقه فيصفه من جميع الأنحاء، مقدما ومدبرا ومعرضا، ولا يفعل ذلك امرؤ القيس وإن كان يمتاز بكثرة التشبيهات:

عظيم طويلٍ مطمئنٌ كأنه	بأسفلِ ذى ماوانٍ سرحةٌ مرَّقبِ
يبارى الخنوفَ المستقلَّ زماعه	ترى شخصه كأنه عودٌ مشجبِ
له أبطالا ظبيِّ وساقا نعامة	وصهوةٌ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مرَّقبِ
له جُوجُوٌ حَشْرٌ كأن لجامه	يعالى به فى رأسِ جذعِ مُشذبِ
وعينانِ كالمأويتينِ ومحجرٌ	إلى سِنِدٍ مثلِ الصفيحِ المنصبِ

ويصف فى هذه القصيدة الصيد، وجرى الفرس للحاق به، ولكنه لا يعدل قصيدة سراقه فى ذلك، ويختلف عنه اختلافا كبيرا، ونستطيع أن نقول إن الحركة السريعة تظهر فى قصيدة أخرى لامرئ القيس، مطلعها:

أحارِ بنَ عمرو كَأنى خَمِرُ	ويعدو على المرءِ ما يَأتمرُ
وهو يصف فيها الفرس وصفا مفصلا:	
وأركبُ فى الروعِ خَيْفانةٌ	كما وجهها سَعَفٌ منتشرُ
لها حافرٌ مثل قعب الوليد	مد رُكْبٍ فيه وظيفٌ عَجِرُ
لها ثُننٌ كخوافى العقاب	بِ سَوْدٍ يَفِقْثَنَ إذا تَرُبُّرُ
وساقان كعباهما أصمعا	نِ لحمِ حمايتهما منبترِ
لها كَفَلٌ كصفاءِ المسي	لِ أبْرزِ عنها جحافٌ مضرِ
لها ذنب مثل ذيل العروس	تسُدُّ به فرجها من دبرِ

فيصفه مقبلا ومدبرا ومعرضا، ويتسع أحيانا، ويضيق أحيانا أخرى، ولكن السرعة التى تظهر فى هذه الأبيات، هى سرعة الوزن لا سرعة الفرس، فنحن لا نجد أى وصف فيها لعدو الفرس. وقد لاحظت شيئا مهما آخر، هو ظهور عاطفة سراقه، وحبه للفرس فى قصيدته، على حين أن امرأ القيس لا يبين عن شىء. فسراقه فارس عربى قح، يعيش مع فرسه، ويعتمد عليه فى الشدائد، يشاركه فرسه حلو العيش ومره، ويعنى صاحبه به فى الحالين. وقد صور سراقه هذا فى قصيدته أجمل تصوير.

نجد من هذا أن سراقه يتفوق على امرئ القيس في التفصيل والحركة السريعة
والعاطفة، وإن كان امرؤ القيس قد ترق عباراته، وتعذب ألفاظه، ويقل الغريب فيها،
فيفوق سراقه في السهولة.

وأترك امرأ القيس إلى خصمه علقمة الفحل، الذي نافسه في وصف الخيل،
وديوانه يحتوى على نحو ثلاث قطع في وصفها، ولكن أكثرهن تفصيلا هي قصيدته
التي ناقض بها امرأ القيس، التي مطلعها:

ذهبت من الهجران في غير مذهبٍ ولم يكُ حقا كلُّ هذا التجنبِ

وهي لا تختلف كثيرا عن قصيدة امرئ القيس، حتى لم يستطع قدماء الرواة
التفريق بينهما، واختلطت أبياتهما اختلاطا شديدا. وعلقمة يتناول أجزاء من الفرس
لم يتناولها سراقه، ولكن سراقه أوسع أفقا منه، وأكثر تفصيلا. وعلقمة مثل امرئ
القيس يصف صيدا، وسراقه يصف سباقا. ولذلك نرى في علقمة قوة وعنفا أكثر مما
نجد فيه حركة وسرعة. ومع ذلك لا تظهر هذه الحركة إلا في أبيات قليلة بالنسبة
لأبيات سراقه. وكذلك لا تظهر عاطفة علقمة في قصيدته، وألفاظه أشد غرابة من
ألفاظ سراقه، وهكذا نجد سراقه يفوق علقمة في التفصيل والعاطفة والسهولة،
والألفاظ المألوفة.

ثم نأتى إلى طفيل الغنوى الذى سمي «المحبر» لحسن وصفه الخيل، وقال عنه
الأصمعي: أخذ كل الشعراء من طفيل حتى زهير والنابعة، وهو كان يركبها منذ
الصغر، حتى صار الفارس المغوار، ولذلك كان يحسن ذلك الوصف إحسانا شديدا،
ويشر طفيل وصفه للخيل في جميع الديوان، حتى يكاد يدخل في كل غرض من
أغراض ديوانه، ولكنه يجمع ذلك المتفرق في قصيدته التي مطلعها:

بالعُفْر دارٌ من جميلةٍ هيَّجتُ سِوَالفَ حبُّ في فؤادك مُنْصِبِ

ويورد فيها ما يقرب من خمسين بيتا في وصف الخيل، وكذلك قصيدته:

ألا هل أنى أهلَ الحجاز مُغارِثًا ومن دونهم أهلُ الجَنابِ فأيهبُ

شامسية إنَّ الشامى دارهُ تشقُّ على دار اليماني وتشغبُ

التي يرد فيها نحو من ١٥ بيتا في ذلك الوصف، ولكن طفيلا ليس واصفاً

للفرس، حَلْبَة أو صيد، بل يصف جماعات من الخيول تتزاحم وتتصادم، وتعدو هنا وهناك، تختفى تارة وتبرز أخرى، فهو واصف لميدان القتال الذي تتصادم فيه الفرسان، وتتلاقى فيه الأفراس، فيختلط الفارس بالراجل، ويعلو القتام حتى يغير لون السماء. فهو يختلف عن سراقه اختلافا تاما، وهو شبيه بامرئ القيس في كثرة التشبيهات، فهو شاعر «كان» وألفاظه غريبة. وأخيرا نستطيع أن نقول إن سراقه يمتاز عن طفيل بوصفه للفرس الواحدة، وبسهولة ألفاظه، وبجبه لفرسه.

كنت أحب أن أنتقل من طفيل إلى أبي دُواد الإيادي، الذي يقول عنه أبو عبيدة: أبو دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وقال عنه ابن الأعرابي: لم يصف أحد قطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد، وقد كان على خيل المنذر بن النعمان ابن المنذر، ولذلك تمكن من معرفة الخيل المعرفة الجيدة، فقال فيها الشعر الجيد، ولكنني لم أجد في المجموعات الأدبية التي بين أيدينا اليوم إلا البيتين أو الثلاثة التي لا تدعم تلك الشهرة.

وكذلك النابغة الجعديُّ لم أجد من شعره غير قصائد قليلة، وقد وصف الخيل في إحداها في عشرين بيتا تفيض بالألفاظ الغريبة، وهو لا يصف الفرس الوصف المفصل، وإنما يصور سيرها وعدوها، ولا يتعرض لجسمها إلا في النادر، وهكذا يسبقه سراقه سبقا بعيدا، وليس ذلك بغريب؛ فإن الأصمعي يقول عنه: «وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء، فأخذ عنهم» وليس المقتبس كالأصيل.

وأخر الأمر نصل إلى سلامة بن جندل، وله ديوان صغير به بعض المقطوعات التي تصور الخيل، وأسرها تفصيلا قصيدته التي مطلعها:

أودى الشبابُ حميدا ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ

وهو يصف فيها سير الفرس، ولا يتعرض لرسم صورته، فلا يمكننا من تخيله كاملا أمامنا، بل يتركنا نرى عدوا وسرعة وغبارا أثرا. وقد تظهر في شعره العناية بالفرس والعاطفة نحوه، ولكنها عناية قاصرة، لا تطاول حب سراقه وعطفه وحنانه.

نجد أن هؤلاء الشعراء الذين شتهروا بوصف الخيل قد يشاركون سراقه في كثير من خصائصه، ولكنني أستطيع أن أقول إنه خير من رسم صورة لفرس واحدة، معطيا

أدق التفاصيل، كاشفا عن أصغر الأجزاء، في ألفاظ مألوفة، وأسلوب عذب، يختلف عن ذلك الأسلوب الذى كان يتكلفه القدماء فى وصف الخيل، حتى تولدت منه تلك الطرديات التى نجدها عند الشعراء المتأخرين، مثل أبى نواس، والمنتبى، والى كانوا ينظمونها رجزا، ويعتمدون فيها الغريب، الذى كان من أبرز خصائص الطرديات، ولذلك كان جديرا بقول الحجاج: «من أراد أن يبصر بالخيال، فليروا قصيدة بارق هذه».

الهجاء

أما الغرض الأكبر عند سراقه فهو الهجاء، وهو ضربان: نقائض، وهجاء عادى، فالنقائض مع جرير، ثم مع الفرزدق، والهجاء العادى موجه للمختار وكثير القبائل الشمالية. وفى غالب الأمر يرجع ذلك الهجاء إلى سبب قبلى؛ فهو يهجو المختار لمحاربه قومه، ويهجو كثيرا لتصله من اليمن، وادعائه أن خزاعة من كنانة قريش؛ ويهجو جريرا لأن محمد بن عمير قريب الفرزدق يبذل الأموال لتفضيله على جرير، أو طاعة لأمر بشر، الذى كان مغرما بإثارة الهجاء بين الشعراء، ليلتفت بعض القبائل إلى بعض، ولا تجد الفراغ للالتفات إلى الخليفة الأموى.

وسراقه فى نقائضه مع جرير يهجو يربوعا رهطه بالنهم والبخل والضعف والخفة:

فإن أهنجُ يربوعاً فإنى لا أرى	لشيخهم الأقصى على ناشئ فضلا
صغار مقاريهم عظام جعورهم	بطاء إلى الداعى إذا لم يكن أكلا
قبيلة لا يدركون بتبليهم	ولا يسبقون الدهر مطلباً تبلا

ويهجوهم بأنهم عبيد أخساء لؤماء يأملون الفرار:

حرر كليباً إن خير صنعة	يوم الحساب العتق والتحرير
اضرب عليهم فى الجواعر حلقه	تبقي فلان إياهم محذور

ويفضل الفرزدق على جرير:

إن الفرزدق برزت حلباته	عفوا وغودر فى الغبار جرير
ما كان أول مجمر عثرت به	أنسابه إن اللثيم عثور

وفى هجائه للفرزدق يلقبه بابن القين الذى شهره به جرير، ويصفه بالذعر
والخنا:

قد كنتُ أحسبُ يا بنَ قَيْنِ مُجاشِعِ أن قد خصاك فلا تَغْطُ جَرِيرُ
ولقد علمتَ على تباغيك الخنا أن الخصى إذا استُفِزَ دَعورُ

ونقائض سراقه تختلف اختلافا جوهريا عن نقائض غيره من شعراء ذلك العصر،
فنحن لا نرى فيها ذلك الإفحاش، ولا ذكر العورات التى أوغل فيها جرير والفرزدق،
وهى مآثرة لسراقه تدل على أدبه ونزغته الأخلاقية الحكيمة، التى ظهرت جلية فى
إكثاره من الحكم والنصائح فى شعره.

أما هجاؤه العادى فيهبجو المختار بالكذب والادعاء، ويدعو لقتاله:

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذرا على قتالكم حتى المماتِ
إذا قالوا أقول لهم: كذبتُم وإن خرجوا لبستُ لهم أداتى

ويصف كثيرا بالكذب أيضا، وبالرشوة أو أخذ العطاء:

لعمري لقد جاء العراقُ كُثِيرُ بأحدوثه من وحيه المتكذَّبِ
فإن كنتَ حرا أو تخافُ مَعْرَةَ فخذُ ما أخذتَ من أميرك واذهبِ

وهجاؤه لربيعة ونزار وتميم والقبائل الأخرى هجاء قبلى، مثل هجاء سائر
الشعراء الإسلاميين والجاهليين، تعبير بالضعف والثأر والهزيمة وما يدور حولها،
ويوجد هذا الهجاء مختلطا بالمدح والفخر والأغراض الأخرى.

نرى من ذلك أن صورة الهجاء عند سراقه هى صورة الهجاء القبلى الجاهلى، لم
تتغير كثيرا اللهم إلا فى هجائه للمختار، وذكره للوحى والدين؛ وإن الصورة الجاهلية
لتبرز كل البروز فى بيته هذا من هجاء قوم جرير:

قُبَيْلَةٌ لا يدركون بتبْلهم ولا يسبقون الدهر مُطْلَبًا تَبْلا

الفخر

يملاً الفخر ديوان سراقه، ويختلط بالمدح والرثاء والهجاء والأغراض الأخرى،
ويفتخر سراقه بنفسه شاعرا، ويقومه من الأزد ومن اليمن شجعان محاربين؛ فيضفى

كل مجد عليهم، ويخصهم بكل صفات الحمد، أما الشماليون فيقصيهم عن كل ما تشم منه رائحة الفخر والعز. وفخره مثل أي فخر عند أي شاعر آخر، ولكني أحس بأن سراقه في فخره أصدق من عمرو بن كلثوم في معلقته، فعمرو يبدو فيها شابا نزقا طائشا، فائز الثورة، يقول ما لا يدري، وسراقه يخلع على نفسه ثوب من يقرر أشياء مسلما بها، فيقول:

قومي شنوءة إن سألتَ بمجدهم في صالحِ الأقوامِ أو لم تسألِ
وما أثرِ كانت لهم معلومة في الصالحين وسؤدد لم يُنحلِ
الدافعين الذم عن أحسابهم والمُكرمين تُويِّهم في المنزلِ
والمطعمين إذا الرياح تناوحت بقَتامِها في كل عامٍ مُمحلِ

لكن عمرو بن كلثوم يهدر ويزيد قائلا:

وقد علمَ القبائلُ من معدِّ إذا قُبِبَ بأبطحها بُتينا
بأنَّ العاصمون بكل كحلِّ وأنا الباذلون لمُجْتَدينا
وأنا المانعون لما يلينا إذا ما البيض زابت الجفونا
وأنا المنعمون إذا قدرنا وأنا المـهـلـكـون إذا أتينا

وإني إن قررت اختلاف فخر سراقه عن فخر عمرو، فإني لا أدعي أن سراقه لا يبالغ، بل كثيرا ما يبالغ، ويبالغ مبالغة كبيرة، ولكن لهجته تختلف عن لهجة ابن كلثوم، وإن كان فخره لم يخرج عن إطار الفخر الجاهلي.

يفتخر سراقه بنفسه، فيفضلها على شعراء عصره، والعصور التي سبقتة، ويصف نفسه بالبازي، ويظهر أن ذلك كان ميزة عامة في ذلك العصر، فنحن نرى جريرا يفضل نفسه على الشعراء، وكذلك الفرزدق والأخطل وغيرهم، ويشبهون أنفسهم بالبوازي تنقض من السماء على المهجو. ويبدو أن ذلك كان نتيجة لازدهار فن القنائض، ولا أعني أن شعراء العصور الأخرى لا يفضلون أنفسهم على غيرهم، وإنما أعني أنهم لو فعلوا ذلك لم ينظموه شعراء، وإن فعله الكبير منهم لم يفعله الصغير، وأما في تلك الفترة فكان ذلك ' ظاهرة شملت جريرا وسراقه.

وأحب الآن أن أورد مثالا من فخر سراقه، وهو من أحسن قصائده تبيانا لروحه، وكشفًا عن دخيلته، تلك هي قصيدته التي مطلعها:

إِنَّ الْأَحِبَّةَ أَذْنُوا بِتَّرَحُّلٍ وَبَصُرُمِ حَبْلِكَ بِأَكْرَأَ فَتَحَمَّلِ
ولا أدري ما الذى يجعلنى أتذكر معلقة امرئ القيس:

ففا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقطِ اللوى بين الدخولِ فحوَمَلِ
كلما وقع نظرى على هذه القصيدة، وهما تختلفان فى الوزن؟ الاتحادهما فى القافية، أم لاستخدام سراقه قصص امرئ القيس، أم لذكره إياه عدة مرات فيها؟ ولعل كل ذلك يتجمع بعضه إلى بعض، حتى يتحد فيصير خاطرا واحدا، يدعو قصيدة امرئ القيس عند لَمَحِي قصيدة سراقه.

يبدأ سراقه القصيدة بالغزل دون النسب، فلا أطلال ولا دَمَن، ولا وقوف ولا بكاء، وإنما سفر وهجران:

خُضُّعًا سَوَالِفَهَا تَعَوَّمُ وَتَعْتَلِي	ذُلًّا حُمُولَتَهَا يَبِينُ عَاجِلِي
صَيْفِيَّةٍ فِي عَارِضِ مَتَهَلِّلِ	يَمْشَى وَيُوجِفُ خَدْرَهَا بِغَمَامَةٍ
كَفَلٌ لَهَا مِثْلُ النِّقَا الْمَتَهَلِّلِ	رَابٍ رَوَادِفَهَا يَنْوَأُ بِخَصْرَهَا
صَافٍ يَزِينُهُ سِوَاكُ الْإِسْحَاجِ	أَيَّامَ تَبَسِّمٍ عَنِ نَقْيِ لَوْنِهِ
شَعْفَ الْفُوَادِ وَسَرَّ عَيْنِ الْمُجْتَلِي	ذَهَبَتْ بِقَلْبِكَ فِي الْأَنَامِ وَمِثْلَهَا

هذا غزل يريد سراقه أن يقلد فيه امرأ القيس، ولكنه بعيد عن غزل امرئ القيس الخليع الماجن، فهناك الغزل الصريح والقصص العارية، وهنا الفتاة الجميلة المخدرة، ثم ينسى سراقه نفسه فيشير إلى أنه يريد تقليد امرئ القيس:

إِلَّا ابْنُ عَمِي يَوْمَ دَارَةِ جُلْجُلِي	مَا رَادَ مِنْ وَجْدِ عَلِيٍّ وَجَدِي بِهَا
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا يَهَيِّجُ يَفْعَلِ	عَقْرَ الْمَطِيَّةِ إِذْ عَرَضُنَّ لِعَقْرِهَا

ويأخذ فى رواية قصة دارة جلجل فى آيات جد جميلة، وجد عفيفة، وإن خُلِقَ سراقه ليغلب عليه، حتى فى ذلك الموقف الذى يلبس فيه ثوب الخليع الماجن، فيقول:

فدع الفواحش ما استطعت لأهلها وإذا هممت بأمر صدق فافعل
ويعض الأبيات الأخلاقية الأخرى، وإنها لعثرة لسان تُبين عن طبع يغالب، ولكنه
طبع راسخ ثابت الأصول، وكانت هذه العثرة مؤدية إلى تنبه سراقه لنفسه وخلقه،
فقال هذه الأبيات الخلقية. ثم كانت مؤدية إلى تنبه سراقه لقومه، فإذا به يفخر بهم،
ويهجو معداً. وكان هذا الفخر قائداً له إلى الفخر بنفسه كشاعر هذه القبيلة العظيمة،
فيسبغ على نفسه كل فضل وكل تفوق، وأين الشعراء الآخرون بجانبه؟ فقد أصاب
من القريض طريقة عجز عنها بقية الشعراء:

ولقد أصبتُ من القريض طريقةً أعييتُ مصادرها قرينَ مهلهل
بعد امرئ القيس المنوّه باسمه أيام يهذى بالدخول فحومل
وأرجو أن تفتن إلى خفة الروح التي تظهر في كلمة «يهذى» فما معلقة امرئ
القيس إلا هذيان.

وأرادها حسانُ يومَ تعرضتُ بردَى يصفقُ بالرحيقِ السلسلِ
وأبو بصيرٍ ثمَّ لم يبصرُ بها إذ حلَّ من وادي القريضِ بمحفلِ
ويعدد الشعراء واحداً واحداً، ثم يذكر في ساقته عبد الله بن الزبير.
عمداً جعلتُ ابن الزبير لذنبه يعدو وراءهم كعدو الثيثلِ
وإنها لصورة مضحكة تلك التي رسمها سراقه بهذا البيت، وإن فيها ما يبين عن
رقة سراقه وظرفه.

هذه القصيدة أظنها معارضة لمعلقة امرئ القيس، لا معارضة بالاصطلاح الدقيق
المعروف، وإنما معارضة بأوسع ما يدل عليه اللفظ، وهو يمثل الفكرة التي قالها ابن
بسام في كتابه «الذخيرة»، في محاسن أهل الجزيرة «إنك إذا أردت أن تعارض قصيدة
شهيرة قوية، فاختر بحراً غير بحرهما، كي تتحرر من أسرها وإغرائها، وتحسن في
بحرك ما شاء لك الإحسان؛ وهذا ما فعله سراقه.

ونحن وإن لم نجد فيها فخامة امرئ القيس وجزالته، نجد فيها رقة سراقه وعذوبته،
ففيها الروح الفكاهة، والظل الخفيف، والد بقی العذبة الباسمة، بخلاف معلقة امرئ القيس

الجادة برغم مجونها، الجزلة برغم خلائتها، التي لا ترق إلا في القصص الغرامية، فالمعلقة ليست في ظرف قصيدة سراقا، وهو الظريف العراقي، لا الماجن البدوي. وبالرغم من عذوبة حديث سراقا، وحلاوة أسلوبه، نجده يختلف عن عذوبة جرير اختلافا كبيرا؛ فعذوبة قصيدة سراقا مكتسبة من خفة روحه؛ أما عذوبة شعر جرير فآتية من رقة ألفاظه وحسن صياغته. فجمال سراقا وابتسامته تطل عليك من بين السطور؛ أما في شعر جرير فهي في نفس الألفاظ، فأشعار سراقا ومعانيه ظريفة، وألفاظ جرير وموسيقاه رقيقة.

وبالرغم من أن سراقا ظريف عراقي، فإنه يختلف عن أبي نواس الظريف العراقي الآخر، فالأول العراقي الأموي، والثاني العراقي العباسي، على ما بين عصريهما من تفاوت في الصراحة الأدبية، والأخذ بالمثل الأخلاقية، والتقاليد العربية. فظرف سراقا ليس كمجون أبي نواس، وإنما تغلب عليه نزعة أخلاقية بالرغم من تديره المكائد لأصدقائه، أما أبو نواس فيفجر ويتماجن ويتفاكه بأفحش الفكاهات مع أصدقائه من النساء والرجال، فهو ليس بسراقا، ولا يشبه سراقا، وإن كانا يجمعهما الظرف ولطف الشمائل.

الرثاء

لا أتكلم كثيرا عن رثاء سراقا، فهو لا يختلف عن رثاء غيره، ولكني لاحظت أنه لم يرث أحدا مات حتف أنفه، وإنما جميع من رثاهم قواد قُتلوا في الحروب، وهم إما من بارق أو من الأزدي، فرثاهم باعتباره «شاعر الأزدي» وهذه ماثرة لسراقا؛ فهو صادق في رثائه؛ لم يتكلف فيه أي شيء من الكذب، ولهذا السبب نجد في رثائه الكمد والحقد والثورة، إلى جانب الحزن والحسرة، فيختلط رثاؤه بالفخر اختلاطا عجيبا. كما لاحظت أن مقتل أحد قواد عصره، قد يذكره بمن مات في الحروب الماضية، فيذكرهم واحدا واحدا، ليدل بذلك على شجاعة الأزدي وبلائها القديم، يقول في قصيدته:

أعينى جُودا بالدموع الـ كـ وكونا كواهي شنةً مع راكب
وكنا بخير قبل قتل ابنٍ مخنفٍ وكلُّ امرئٍ يوما لبعض المذاهبِ

ثم يتذكر القتلى الأقدمين فيقول:

وما الليثُ إذ يعدو على ألفِ فارسٍ وتحت هوادى خيلهم ألفِ ناشبِ
مؤازٍ ولا عدلٌ لعروةٍ إذ غدا على صفِّ صفينَ العظيمِ المواكبِ
ولا جندبًا إذ صال بالسيفِ صولةً على ساحرٍ فى حافةِ السوقِ لآعبِ
وكان أخا ليلٍ طويلٍ قيامه إذا النومُ ألهى حبه كلَّ جانبِ
وقيسُ بن عوفٍ فأنديه بعبرةٍ إذا الخيلُ جالتُ بالرجالِ عصائبِ

الأغراض الأخرى

وبقية الأغراض التي نظم فيها سراقه لا أهمية لها: لأنه لا يقول فيها غير البيتين أو الثلاثة، لا يزيد على ذلك إلا فى النادر، ولعل كثيرا من شعره ضاع من الرواة، كما قلت من قبل ولذلك أتركها الآن إلى شىء أهم هو تحقيق شعر سراقه.

٣- تحقيق شعر سراقفة

فى دار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان كاملتان من ديوان سراقفة البارقى، وقد اعتمدت عليهما كليهما فى تحقيق الديوان وشرحه، فرمزت إلى أولاهما بالحرف «ص» لأنها الأصل الأول، وثانيتها بالحرف «ش».

النسخة (ص):

النسخة الأولى من الديوان محفوظة تحت رقم ٦١٤ أدب، وهى نسخة مستقلة، لا تحوى غير ديوان سراقفة، وعدد ورقاتها خمس وثلاثون من القطع المتوسط، مقياس كل منها ٢٣ × ١٤ سم، وعدد سطور كل صفحة خمسة عشر سطرا، وهى بخط فارسى معتاد، وقد نقلت عن نسخة محفوظة بالأستانة فى مكتبة عاشر أفندى، رئيس الكتاب الأسبق بالأستانة، تمت كتابتها سنة ١٢٧٩هـ وليس عليها اسم الناسخ. ويتخلل أبيات الشعر شروح وتعليقات قليلة من عمل الرواة، ولكنها مختلطة، لا يتميز عمل واحد منهم من عمل الآخر إلا فى النادر، ولم يخل هامش النسخة من تقييدات تشرح بعض الغامض من الشعر، وبعضها تصحيح لرواية المتن، أو تنبيه على نسخ أخرى، وهى غير منسوبة ولا معروف أصحابها.

وقد جرى الكاتب على أن يكتب بعض كلمات بالمداد الأحمر، وخاصة عند الانتقال من قصيدة إلى أخرى، والنسخة مضبوطة، ولكن يشيع فيها الخطأ فى الضبط، ولعل ذلك من قلم الناسخ.

والنسخة خالية من السماعات المحدثة، والتعليكات ونحوها، وقد أضيفت إلى دار الكتب المصرية سنة ١٨٨٣ م.

النسخة (ش):

أما النسخة الثانية فهى ضمن المجموعة رقم ٦ ش أدب، و «ش» رمز لصاحبها، وهو الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى اللغوى المشهور، ويحتوى

هذا المجموع «على جملة وافرة من دواوين العرب العرباء، وأولها: هذا (ديوان حسان بن ثابت) وواحد وثلاثون من دواوين شعراء هذيل، وديوان لبيد، وديوان الأعشى، وديوان ذى الرمة، وديوان ابن الدمينّة، وديوان سراقه البارقي^(١)».

ونرى من العبارة السابقة أن ديوان سراقه البارقي آخرها، وهو يشغل عشر ورقات من صفحة ٢٤٤ إلى ٢٥٤ لأن الديوان يرقم صفحة ويترك الأخرى، ومقياس الصفحة ٢٤ × ١٨ سم، وفي كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا، وورقها خفيف مصقول.

وهي مكتوبة بالخط النسخي المعتاد، وليس عليها اسم كاتبها، وقد فرغ من نسخها في يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٩٣هـ، وبها ضبط قليل للمشتبه من الألفاظ، وعليها تعليقات وتقييدات بهامشها بالمداد الأحمر، ويكتب الناسخ صدر مقدمة القصائد بذلك المداد.

ولا نعلم شيئا عن النسخة التى نقل عنها الناسخ هذا الديوان: أهى النسخة «ص» التى فى دار الكتب المصرية؟ أم النسخة التى نقلت عنها «ص» وهى فى الآستانة؟ أم غيرهما؟ وقد زار الشيخ الشنقيطى الآستانة، واستنسخ فيها عدة كتب، فلعله استنسخ هذا الديوان من ثمة، لأننا نجد تشابها كبيرا بين هذه النسخة وبين النسخة «ص» فيما حوته من شعر سراقه، فهى طبق لها، ولا تكاد تختلف عنها إلا فى تصحيح ما بالنسخة «ص» من تحريف أو تصحيف فى بعض المواضع، وهى تزيد هذا البيت:

برزنا إذ رأيناها فلما رأينا القسوم قد برزوا إلينا

على ما فى «ص» ولعله سقط من ناسخها.

على أنها تمتاز بشيء جوهري، وهو أن التعليقات التى بالنسخة «ص» كان بعضها فى المتن، وبعضها على هامش النسخة، أما فى هذه النسخة فنجد جميع التعليقات بهامشها، ولا تكاد نجد للشيخ الشنقيطى نفسه أية تعليقات زائدة على تعليقات القدماء، التى ذكرناها آنفا، وكلها مكتوب بالمداد الأحمر.

(١) عبارة مقدمة النسخة.

الرواة:

ديوان سراقه من رواية اللغوى الحسين بن على النمرى، عن السكرى، عن الإمام اللغوى محمد ابن حبيب؛ وقد عورض برواية أخرى لابن الأعرابى، أما كاتبه فيسمى نفسه أبا أحمد، وهذا كله منصوص عليه فى النسختين «ص» و «ش» بعد المقطوعة:

أُفَاتِلُ مَهْدِيًّا وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ وَأَمْرٌ بَدَأَ لِي غَيْبُهُ مُتَّفَاقٌ

حيث يقول: «هذا آخر ما وجدته بخط الحسين بن على النمرى؛ يقول: هذا آخر ما وجدته بخط السكرى؛ يقول: هذا آخر ما وجدته فى كتاب ابن حبيب، والحمد لله، ووجدت بخط الشيخ أبى أحمد بعد ذلك: قابلت بجميع ما مضى، وأعلمت عليه، وكتبت ما لم يكن، ووجدت بخط ابن الأعرابى...» وعبارة «ش» تقرب من ذلك، كما تذكر أسماء الرواة أكثر من مرة فى التعليقات، وقد ذكر اسم راوٍ آخر يسمى أبا ريش فى تعليقه على البيت:

إِنِ الْفَرَزْدَقَ بَرَزَتْ حَلْبَاتُهُ عَفْوًا وَغُودَرَ فِي الْغُبَارِ جَرِيرٌ

وانى مقدم ترجمة قصيرة لكل واحد من هؤلاء الرواة:

ابن الأعرابى:

أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى، ولد بالكوفة سنة ١٥٠هـ = (سنة ٧٦٧م) من أب سدى، كان مولى للعباس بن محمد الهاشمى، وبعد موت أبيه تزوجت أمه المفضل الضبى، فأصبح أستاذه، وقرأ أيضا على القاسم بن معن.

وقد قال ثعلب فى بن الأعرابى: «شاهدت مجلس ابن الأعرابى، وكان يحضره زهاء مئة إنسان، وكان يُسأل ويُقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب» وقال فيه أيضا: «قد أملى على الناس ما يُحْمَلُ على أجمال، لم يُرَ أحدٌ فى علم الشعر أغزر منه».

وتوفى عام ٢٣١هـ وله من العمر ٨١ سنة و٤ أشهر.

محمد ابن حبيب:

الإمام اللغوى النسابة أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، كان مولى لبني

العباس بن محمد، وكانت أمه المدعوة «حبيب» مولاة لهم أيضا، وكان ابن حبيب من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل، وقد جمع قطعة من أشعار العرب، وتتلّمذ لابن الأعرابي وقطرب وأبى عبيدة وأبى اليقظان وغيرهم.

ويقول عنه ياقوت: «ثقة مؤدب» ولكن المرزبانى يقول فيه: «كان يغير على كتب الناس، فيدعيها ويسقط أسماءهم» ويقول عنه ثعلب: «حضرت مجلسيه فلم يُمل، وكان حافظا صدوقا».

وذكر ابن النديم فى الفهرست ٣١ كتابا له لم يرد فيها ذكر ديوان سراقه، وإن كان يذكر أنه جمع شعر الأزدي، فلعل سراقه كان معهم، ولم تعرف دائرة المعارف الإسلامية وجود ديوان سراقه، ولذلك قالت عنه (عن ابن حبيب) «ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة إلا رسالة فى أوجه الشبه والخلاف بين أسماء القبائل العربية».

وتوفى ابن حبيب بسر من رأى فى شهر ذى الحجة عام ٢٤٥هـ = ٨٥٩م.

السكرى:

أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبى صفرة، السكرى النحوى اللغوى الراوية المكثر، وكان راوية البصريين، وقد جمع أشعار جماعة من الفحول، كامرئ القيس وزهير وغيرهما، وأخذ عن أبى حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشى، ومحمد ابن حبيب، ويحى بن معين، والحرث بن أبى أسامة، وأحمد بن الحرث الخراز وغيرهم، وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخى.

وكان السكرى ثقة حاذقا حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام، إذا جمع جمعا فهو الغاية فى الاستيعاب؛ وذكر له الفهرست نحو من أربعين كتابا لم يرد فيها ديوان سراقه.

وقد ولد عام ٢١٢هـ وتوفى سنة ٢٧٥ وقيل ٢٩٠هـ.

النمرى:

أبو عبد الله الحسين بن على بن عبد الله النمرى، المعروف بابن الأعرج، تلقى العلم على أبى ريش، وقد كان أديبا شاعرا لغويا، صنف عدة كتب مثل كتاب «اللمع» فى

اللغة، و «الخيال» و «أسماء الفضة والذهب» و «معاني الحماسة» وقد عاش بالبصرة وتوفى عام ٣٨٥هـ.

أبو أحمد:

أما أبو أحمد هذا فلم أعرفه يقينا، إذ يكنى بهذه الكنية عدد كبير، ولا يوجد ما يرجح أحدهم على الآخرين، وأشهر من يكنى بها الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكري اللغوي العلامة، كان من الأئمة المذكورين في التصرف في أنواع العلوم، والتبحر في فنون الفهوم؛ سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها، من أبي القاسم البغوي وأبي بكر بن دريد ونفطويه وغيرهم، وأكثر وبالغ في الكتابة، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان، وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء للآداب، والتدريس بقطر خوزستان؛ ورحل إليه الأجلة، روى عنه أبو نعيم الأصبهاني وأبو سعد الماليني، وصنف «صناعة الشعراء» و «التصنيف» و «المختلف والمؤتلف» وغيرها.

ولد أبو أحمد العسكري يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومثتين، وتوفى يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة.

أبورياش:

أحمد بن إبراهيم، كما جاء في ياقوت، ولكن السيوطي أتى به فيمن يسمى «إبراهيم» ودعاه «إبراهيم بن أبي هاشم أحمد أبو رياش» ينسب إلى شيبان وإلى قيس، وهو من اليمامة، وقد كان جنديا في أول أمره مع المسمعي، ثم انقطع إلى العلم والشعر.

وقال عنه التنوخي في كتابه: «نشوار المحاضرة»: «كان من حفاظ اللغة، ومن رواة الأدب» ووصفه الثعالبي في «اليتيمة» بقوله: «كان باقعة في حفظ أيام العرب، وأنسابها، وأشعارها؛ غاية بل آية في هذِّ داوينها، وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان» ويقال: «إنه كان يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين

ألف بيت شعر إلا أن أبا محمد المافروخي أبرَّ عليه» وكانت بينهما مساجلات في الحفظ والرواية.

وقد حكى أبو العلاء المعري في وصفه في كتابه «الرياش المصطنعي» «أن أبا رياش كان طويل الشخص، جهير الصوت، يتكلم بكلام البادية، ويظهر أنه على مذهب الزيدية...».

واتصل أبو رياش بالوزير المهلبى، وتوفى عام ٣٣٩هـ كما جاء في ياقوت، أو ٣٤٩هـ كما يقول السيوطى فى البغية.

منهجى فى تحقيق الديوان

أريد أن أتكلّم هنا على بعض الخطوات التى خطوتها فى إخراج الديوان فى صورته هذه.

أول شىء حرّرت فيه هو التعليقات: أسير فى إثباتها على طريقة «ص» أم على طريقة «ش»؟ وبعبارة أوضح: أأجعل بعضها فى صلب الديوان، وبعضها الآخر فى الهامش؟ وأخيراً ارتحت إلى طريقة «ش» فدونتها بين قوسين صغيرين « » فى الحاشية، رامزا إليها بالحرف «ه» لأنى وجدتها مختلطة، لا تمتاز تعليقات راو عن تعليقات آخر، كما وجدت الرمز إليها يكفينى مئونة وضعها حيث اخترت، حتى تكون الأبيات متتالية متسلسلة، لا تقوم بينها فواصل غريبة، ولو كانت هذه الفواصل شرحاً لها، وتعليقاً عليها.

ويسوقنى الكلام على التعليقات إلى الحديث عن تعليقاتى، فأذكر أنى أحببت أن أعرف القارئ بالرجال المذكورين فى الديوان، فأتيت لهم بترجمات مختصرة، أرجو أن تكون كافية، وقد تجاهلت بعض الرجال لبروزهم وشهرتهم، أما غير الترجمة فلم أفعل شيئاً إلا شرح بعض الأبيات راجياً أن أكون موفقاً فى ذلك الشرح.

وتركت الديوان فلم أدخل عليه تغييراً فى نظامه، ولكنى تسهلاً للقارئ ألحقت به سبعة فهارس، هى: فهرس الأعلام، وفهرس الموضوعات، وفهرس تاريخى لتأريخ القصائد، وفهرس الشعراء، وفهرس القبائل، وفهرس الأماكن، وفهرس القوافى والأوزان، وأخص فهرسين بالحديث: فهرس القبائل، وفهرس التاريخ.

أما الأول فقد أدخلت فيه الخوارج والشيعة والأمويين والديلم، وهم ليسوا قبائل، وإنما أحزاب أو أجناس، ولكنى لاحظت فيهم الجماعة، فلم أذكرهم في فهرس الأعلام، ووحدت أنهم إلى القبائل أقرب منهم إلى الأفراد.

أما الفهرس التاريخي فإني رتبته بحسب ما جاء في القصائد أو الديوان من إشارات تاريخية، فرجعت إلى الطبرى والكامل والبداية والنهاية والمنتظم، فاستنبطت منها تاريخ وقوع هذه الحوادث، وأرخت بها القصائد، وقد يكون فى ذلك بعض الخطأ، لأن الشاعر قد يتناول الحادث القديم، وينظم فيه القصائد، ولكن رجحت أن سراقه نظم قصائده بعد وقوع الحوادث مباشرة، أو بزمن قليل، وذلك لأهمية الحوادث وتأثيرها، ذلك الأمر الذى يُملى على الشاعر نظم قصائده فوراً، وكذلك لامتلاء حياة سراقه بالحوادث مما لا يترك له فراغاً، يشغل نفسه فيه بالكتابة أو الحديث عن الحوادث الماضية، وهو لو تحدث عن الماضى فإنما يتحدث عنه كذكرى آثارها الحوادث الراهنة، كما يظهر ذلك فى بعض مرثيه.

وقد وجدت بعض المقطوعات والقصائد التى لم أستطع تأريخها، لعدم ورود إشارات تاريخية بها، فأوردتها آخر الفهرس دون ترتيب ودون تأريخ، وقد ورد فى قصة الأغانى اسم حسان بن كيسان، وأنه كان والى الكوفة فى ذلك العهد، فبحث كثيراً عنه، فلم أجد له ذكراً؛ وأرجح أنه كان زمن بشر بن مروان أو الحجاج، لأنهما كانا يُبَيان ولاية عنهما على الكوفة إذا خرجا منها، فتكون تلك المقطوعة قد قيلت بين عامى ٧١ و ٧٩هـ.

خاتمة:

قلت: إن ديوان سراقه لم ينشر فى طبعة مستقلة قبل هذه الطبعة، ولكن «س.م. حسين الهندى» قد نشره فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن فى جزأى يولية وأكتوبر من سنة ١٩٣٦ نقلاً عن مخطوطة بالمكتبة الأهلية فى فيينا، وهى منقولة عن نسخة ألمانية، نُقلت عن نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة: المحفوظة برقم ٦١٤ أدب، وعن النسخة ٦٨ أدب بدار الكتب المصرية أيضاً، وعن نسخة عاشر أفندى بالقسطنطينية.

المراجعة

مراجع تحقيق الشعر

ابن جرير الطبرى	:	تاريخ الأمم والملوك، ورمزت إليه بالحرف «ط»
ابن الأثير	:	الكامل
ابن كثير	:	البداية والنهاية
ابن عساکر	:	تاريخ دمشق
الأمدي	:	المؤتلف والمختلف
ياقوت	:	معجم البلدان
ابن قتيبة	:	عيون الأخبار
أبو الفرج الأصبهاني	:	الأغاني
الزجاجي	:	الأمالي
ابن عبد ربه	:	العقد الفريد

مراجع المقدمة

ديوان امرئ القيس	»	شرح الشافية للرضي
علقة الفحل	»	المحاسن والأضداد للجاحظ
طفيل الغنوي	»	النوادر لأبي زيد الأنصاري
سلامة بن جندل	»	معجم الأدباء لياقوت
المعلقات	»	نزهة الألبا لابن الأثير
شعر النابغة الجعدي	»	بغية الوعاة للسيوطي
شعر أبي دواد الإيادي	»	الفهرست لابن النديم

ديوان
سِرَاقَةِ الْبَارِقِ

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين (١)

قال (٢) محمد ابن حبيب:

(١) زيادة عن ش.

(٢) ورد هذا الخبر في كتب التاريخ مفصلا تفصيلا شافيا، يختلف بعض الاختلاف عن رواية ابن حبيب، وخاصة في أسماء قواد الأرباع، فأثرت أن أورده هنا، كي أوضح جو المعركة التي أنتجت هذه القصيدة، وعدة قصائد أخرى من شعر سراقه، وهاك ما ورد في كتاب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وقد ذكره في حوادث عام ٧٤هـ وأكماله في عام ٧٥هـ، قال:

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه . . . «أما بعد، فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة، وليتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم، وأولى الفضل والتجربة منهم، فإنه أعرف بهم، وخله ورأيه في الحرب، فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين. وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا، وابعث عليهم رجلا معروفا، شريفا حسيبا صليبا، يُعرف بالباس والنجدة والتجربة للحرب. ثم أنهِض إليهم أهل المصرين، فليتبعوهم أي وجه ما توجهوا، حتى يبيدهم الله ويستاصلهم؛ والسلام عليك».

وشق على بشر إمرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك، فلا يستطيع أن يعث غيره، فأوغرت صدره عليه، كأنه كان إليه ذنب. ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن ابن مخنف، قال: دعاني بشر بن مروان، فقال لي: إنك عرفت منزلتك مني، وأثرتك عندي، وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش، للذي عرفت من جزئك وغنائك، وشرفك وبأسك، فكن عند أحسن ظني بك، انظر هذا الكذا كذا (يقع في المهلب) فاستبد عليه بالامر، ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا، وتنقصه وقصر به، فترك أن يوصيني بالجندي، وقاتل العدو، والنظر لأهل الإسلام، وأقبل يغزني بابن عمي، كآني من السفهاء، أو ممن =

= يُسْتَصْبَى وَتُسْتَجْهَل، ما رأيت شيخاً مثلى فى مثل هيتى ومنزلتى، طُمع منه فى مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى، شبَّ عمرو عن الطوق، ولما رأى أنى لستُ بالنشيط إلى جوابه قال لى: ما لك؟ قلت: أصلحك الله، وهل يسعنى إلا إنفاذ أمرك فى كل ما أحببتُ وكرهتُ، قال: امضِ راشداً... فودعته وخرجت من عنده.

وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز، فلقى بها الخوارج، فخندق عليه، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة، على رُبْع أهل المدينة، معه بشر بن جرير، وعلى رُبْع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس. وعلى ربيع كندة وربيعة إسحاق بن محمد بن الأشعث، وعلى ربيع مذحج وأسد زحر بن قيس، فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف، حيث تراهى العكران برامهرمز، فلم يلبث الناس إلا عشراً حتى أتاهم نعى بشر بن مروان، وتوفى بالبصرة، فافرض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة.

ثم يقول الطبرى فى حوادث عام ٧٥هـ، بعد أن يذكر ولاية الحجاج للعراق، وإرجاعه المنفضين عن المهلب وابن مخنف:

«ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهزمز... وأجلّوهم... من غير قتال شديد، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم، وخرج القوم كأنهم على حامية، حتى نزلوا سابور، بأرض يقال لها كازرون، وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم... فخندق المهلب عليه.

فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف: إن رأيت أن تخندق عليك فافعل؛ وأن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه، وقالوا: إنما خندقنا سيوفنا؛ وأن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيتوه، فوجدوه قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف، فوجدوه لم يخندق، فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه، فقتل وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لَمَنْ الْعَسْكَرُ الْمَكْلَلُ بِالصَّرِّ عَى فَهَمٌ بَيْنَ مَيْتٍ وَقَتِيلِ
فَتَرَاهُمْ تَفْنَى الرِّيحِ عَلَيْهِمْ حَاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الدُّبُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا... (أنهم) اقتتلوا قتالاً شديداً، لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه، وذلك بعد الظهر، فمالت الخوارج بحدها على المهلب بن أبى صفرة، فاضطروه إلى عسكره، ففرح إلى عبد الرحمن رجلاً من صلحاء الناس، فاتوه فقالوا: =

ذكروا أن بشر بن مروان^(١) لما بعث عبد الرحمن بن مخنف^(٢) إلى

= إن المهلب يقول لك: إنما عدونا واحد، وقد ترى ما قد لقي المسلمون، فأمد إخوانك يرحمك الله، فأخذ يمدّه بالخييل بعد الخييل، والرجال بعد الرجال، فلما كان بعد العصر، ورأت الخوارج ما يجرى من عسكر عبد الرحمن من الخييل والرجال، إلى عسكر المهلب، ظنوا أن قد خف أصحابه، فجعلوا خمس كتائب أو ستاً تجاه عسكر المهلب، وانصرفوا بحدّهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف، فلما رأهم قد صمدوا، نزل ونزل معه القراء... ونزل معه من خاصة قومه أحد وسبعون رجلاً، وحملت عليهم الخوارج، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم إن الناس انكشفوا عنه، فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه، فلم يتبعه إلا ناس قليل، فجاء حتى إذا دنا من أبيه، حالت الخوارج بينه وبين أبيه، فقاتل حتى ارتثته الخوارج، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف، حتى ذهب نحو من ثلثي الليل، ثم قتل في تلك العصابة.

(١) بشر بن مروان الأموي أخو عبد الملك بن مروان، ولي إمرة الكوفة عام ٧١هـ بعد مقتل مصعب بن الزبير، ثم جمعت له البصرة عام ٧٣هـ، وظل والياً على العراق حتى وفاته عام ٧٤هـ، وكان سمحاً جواداً طليق الوجه، يجيز على الشعر بالألوف، مدحه الشعراء، مثل الأخطل وجرير والفرزدق وسراقة، وكان شجاعاً اشترك في موقعة مرج راهط، وقتل خالداً بن حصين الكلابي، وكان ذا ذوق أدبي، يحب إثارة بعض الشعراء على بعض، فيتراسلون بالأهاجي، ويظرب هو لتلاحيهم، وهو الذي حرض سراقة على جرير.

(٢) عبد الرحمن بن مخنف القائد الأزدي، حارب مع الإمام عليّ هو وأبوه في موقعة صفين، وقد حارب النعمان بن بشير الصحابي، الذي كان في صف معاوية، ولما خرج المختار ثار عليه يوم جبانة السبيح، فجرح، ونُقل إلى زوجته، ثم أرسله بشر بن مروان على رأس جيش الكوفة عام ٧٤هـ ليحارب الخوارج مع المهلب، وأخذ يحاربهم، حتى تمكن منه قطري بن الفجاءة، فقتله ومن معه قرب كازرون عام ٧٥هـ.

الأزارقة^(١) دعاه، فقال له: إن أمير المؤمنين^(٢) كتب إليّ، يأمرني أن أبعثك إلى الأزارقة، في مقاتلة^(٣) أهل الكوفة، فإذا أتيت المهلب^(٤) فانزل منه ناحية، ثم افعل كذا وكذا، فجعل يغيره بالمهلب، وقال له: استبدّ بالأمر عليه، فانت أشرف منه، فلما خرج عبد الرحمن سأله أصحابه^(٥) ما الذي أوصاك به الأمير؟ فقال لهم: ترك^(٦) أن [يغيرني]^(٧) بقتال عدوه وعدوي، وأقبل يغيرني بابن عمي. فسار عبد الرحمن ومعه أصحاب الأرباع^(٨): أرباع الكوفة، على

(١) فرقة متطرفة من الخوارج، تنسب إلى نافع بن الأزرق، توجب قتال المسلمين، وتكفر القعدة، كما تدعى أن المسلمين قد كفروا، ولن يتوبوا إلا بالخروج، ولها آراء أخرى كثيرة، تخالف بها المسلمين وبقية الخوارج.

(٢) يريد عبد الملك بن مروان.

(٣) المقاتلة: الجند.

(٤) المهلب بن أبي صفرة هو الذي وقف للخوارج بالمرصاد، وقد استعان به الشيعة والزييريون والأمويون لقتالهم، وكان يحاربهم أيضا بابتكار الأحاديث من عنده حتى اشتهر بالكذب، وكان رب أسرة حربية كبيرة، ومن أشجع أولاده: يزيد، والمغيرة، وقد توفي عام ٨٢ هـ.

(٥) هـ: «الناس».

(٦) «ترك» كذا في ش، وفي ص: «نزل» وهو خطأ ظاهر.

(٧) زيادة عن ش وهي ساقطة من ص، ومكانها فراغ.

(٨) عندما أسست الكوفة قسمت إلى أربعة أرباع، ثم نزلت كل قبيلة مكانا خاصا منها، تسكنه مجتمعة ولا تسكن غيره، ولذلك كانت الكوفة مقسمة تبعا لهذه القبائل، وكانت عندما تخرج لمحاربة أهل البصرة مثلا، تقف أرد الكوفة أمام أرد البصرة، وتميم الكوفة أمام تميم البصرة، وكل قبيلة أمام أختها في المدينة الأخرى، تقاتلها بنفسها.

رُبِعُ أهل المدينة جريرُ بن عبد الله^(١) وعلى ربيع تميم^(٢) وهمدان عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني^(٣) وعلى ربيع مَذْحِج وأسد إبراهيم بن الأشتر النخعي^(٤) وعلى ربيع ربيعة وكندة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلما قدم ابن مخنف نزل من المهلب على أربعة أميال، فأتاه المهلب زائراً، فقال له: أنا أعلم بقتال هذا العدو منك، فمَرُّ بخندق عليك، وأصحاب أرباعه يسمعون، فقال عبد الرحمن بن محمد [بن] ^(٥) [الأشعث لهم: والله [لَهُمْ] ^(٦) أهون علينا من ضَرْطَةِ الجمل^(٧) فلقب يومئذ «ضُرْطَةُ الجمل» والأشاعثة يغضبون منها.

(١) تذكر كتب التاريخ أنه توفي عام ٥٢ أو ٥٤ هـ، فليس من المعقول إذن أن يحضر هذه الموقعة التي كانت عام ٧٤ أو ٧٥ هـ.

(٢) «تميم» كذا في ش، ط، وفي ص، «أهل تميم».

(٣) قُتل عام ٦٦ هـ يوم جبانة السبيع.

(٤) توفي عام ٧١ هـ، ومن تواريخ الوفاة نجد أننا أمام أحد ثلاثة أشياء: فإما أن نقول إن المعركة كانت قبل عام ٧٥ هـ والطبري مخطئٌ وكذلك كتب التاريخ الأخرى، وإما أنهم لم يتوفوا في هذه التواريخ، وتكون كتب التاريخ مخطئة أيضاً، وإما أن نُحْطِئَ رواية ابن حبيب وهو الأولي، بدليل أن الطبري ذكر أسماء أخرى غير التي ذكرها ابن حبيب، فليراجع فيما نقلناه عنه في صفحة ٣٨.

(٥) زيادة واجبة، ساقطة من الأصلين.

(٦) زيادة من الطبري يقتضيه السياق، ساقطة من الأصلين.

(٧) روى الطبري هذه الحادثة في حوادث عام ٧٢ هـ، ولم يكن ابن الأشعث تحت إمرة ابن مخنف، وأحببت أن يشاركني القارئ في الاطلاع عليها، فأوردتها هنا:

«وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان: «أما بعد، فلإني كتبتُ إلى خالد بن عبد الله أمره بالنهوض إلى الخراج، فسرَّح إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجلاً من قبلك ترضاه، فإذا قضاوا غزاتهم تلك، صرفتهم إلى الري، فقاتلوا عدوهم، وكانوا في مسالحهم، وجبوا فيهم، حتى تأنى عقبهم فتعقبهم، وتبعث آخرين مكانهم» قطع على أهل =

وقالت امرأة من أهل البصرة، حين انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من الحجاج بن يوسف، تُعِيرُهُ هزيمته:

تركتَ ولدتنا تَدْمِي نَحورَهُمْ وَجئتَ منهزماً يا ضرطَةَ الجملِ^(١)
فقال أهل الكوفة: خنادقنا أسيافنا، فمكثَ قَطْرِيُّ بن الفُجاءة^(٢) أياماً، ثم أتى المهلب فأناخ بخندقه، فقاتله يومه ذلك حتى العصر، وبعث المهلب إلى عبد الرحمن بن مخنف: إن عدوناً واحداً، ويدنا واحداً، فأمدني بمن قبلك، فندب عبدُ الرحمن الناس إلى المهلب مع جعفر ابنه، فانتدب معه خمس مئة،

= الكوفة خمسة آلاف، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث... وجاء عبد الرحمن بن محمد ببعث أهل الكوفة، حتى وافاهم بالأهواز... ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق، فقال له: يا بن أخي، ما يمنعك من الخندق؟ فقال: والله، لهم أهون على من ضرطة الجمل، قال: فلا يهونوا عليك يا بن أخي، فإنهم سباع العرب، لا أبرح أو تضرب عليك خندقاً، ففعل، وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد: «لَهُمْ أهون على من ضرطة الجمل» فقال شاعرهم:

يا طالبَ الحقِّ لا تستهوَ بالأملِ فإنَّ من دونِ ما تهوى مَدَى الاجلِ
واعمل لربك واسألهُ مشوبتهُ فإنَّ تقواهُ فاعلم أفضلُ العملِ
واغزُ المخانيثَ في الماذي مُعلِّمةً كيما تصبِّحَ غدواً ضرطَةَ الجملِ

(١) الولادة: جمع وليد، وفي ش: «نخورهم» بالخاء موزع «نخورهم» بالخاء، وهو خطأ.

(٢) الشاعر القائد الشجاع، انتخبه الأزارقة أميراً لهم بعد مقتل الزبير بن الماحوز عام ٦٨ هـ، وكانت بينه وبين المهلب وقائع شديدة، وفي أواخر أيامه اضطرت عليه الخوارج وانفض كثير منهم من حوله، وقتل عام ٧٩ هـ، وله شعر يمتاز بصدق العاطفة وقوتها، وهو القائل يخاطب نفسه.

أقولُ لها وقد طارت شِعاعاً من الأبطالِ ونحكِ لا تُراعِي
فإنك لو طلبتِ بقاءَ يومٍ على الاجلِ الذي لكِ لم تُطاعِي

فشدوا على جانب عسكر قطريّ، فأفرجوا لهم، فدخلوا خندق المهلب، ثم قال قطريّ، لأصحابه: ميلوا إلى أهل الكوفة، فإنه لا بقاء لهم بعد من أراه خرج من معسكرهم، فمال إليهم، فقاتلوهم بقية يومهم وليلتهم حتى جنّ الليل، وطلع القمر لسبع بقين من الشهر. وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى المهلب بن أبي صفرة يستمده. فقال بعض الناس: لم يمهده برجل، ندب الناس إليه، فقالوا: لا نقوى أن نمده مع ما لقينا من التعب يومنا هذا. وقال آخرون: لا، بل خذلهم عمدا. وأتاهم جعفر بن عبد الرحمن فيمن كان معه من أهل الكوفة وقليل من أهل البصائر من أهل البصرة، فقاتلوهم من ورائهم حتى قُتل وقتل من^(١) معه، وقتل عبد الرحمن وأصحابه.

فقال سراقه بن مرداس البارقي في ذلك، يرثى عبد الرحمن بن مخنف، ويذكر خذلان المهلب إياه:

ثوى سيد الأزدَيْنِ أزدِ شِنوَةِ	وأزدِ عِمَانِ رهنَ رَمْسٍ بكَازِرِ ^(٢)
وقاتَلَ حتى ماتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ	بأبيضَ صَافٍ كالعقيقَةِ باتِرِ ^(٣)
[وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ	كِرَامُ المِساخِ مِنْ كِرَامِ المِعاشرِ] ^(٤)

(١) زيادة من ش.

(٢) «الأردين» كذا في '، وفي ك: «الأردابن» وفي ي: «للأرد» وفي ص، ش: «للأسد» و «أرد شنوة وأرد عمان» كذا بالزاي في ط، ك، ي، وفي ص، ش: «أسد» بالسين، و«رهن» كذا في ط، ك، ي، وفي ص، ش: «وهو» والرسم: تراب القبر، وفي هـ: كازرون» وهي بأرض سابور من فارس.

(٣) «قاتل» كذا في ص، ش، وفي ط، ك، ي: «ضارب».

(٤) «حول التل وتحت» كذا في ط، ي، وفي ك: «عن تل وتحت» وهذا البيت زيادة من ط، ك، ي، وساقط من ص، ش.

قَضَى نَجْبَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ابْنُ مَخْنَفٍ
وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ الْوَثِّ دَائِرٍ^(١)
أَمَدٌ وَلَمْ يُمَدِّدْ وَمَاتَ مُشْمَرًا
إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابِ غَادِرٍ^(٢)

* * *

وقال سراقه أيضا يرثيه^(٣):

إِنْ يَقْتُلُوكَ أَبَا حَكِيمٍ غَدْرَةٌ
إِنْ يُثْكَلُونَا سَيِّدَا لِمَسْوَدٍ
فَلِمَثَلُ قَتْلِكَ هَدَّ قَوْمَكَ كَلْهَمٌ
مَنْ كَانَ يَحْمَلُ غُرْمَهُمْ وَيَحْوِطُهُمْ
فَلَقَدْ تَشَدَّدْتُ فَتَقْتُلُ الْأَبْطَالَ^(٤)
ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ مَا جَدًّا مَفْضَالًا^(٥)
مَنْ كَانَ يَحْمَلُ عَنْهُمْ الْأَثْقَالَ
يَوْمًا إِذَا كَانَ الضَّرَابُ نَزَالًا^(٦)

(١) «الوث» كذا فى ط ، ك ، ي ، وفى ص ، ش: «دبوث» والألوث: الضعيف، و «دائر» كذا فى ي ، والدائر: الهالك، وفى ص ، ش: «دابير» وفى ط ، ك: «غادر».

(٢) ط: «فلم» وباقي النسخ: «ولم» وفى ط ، ك: «فراح» فى موضع «ومات» و «غادر» كذا فى ص ، ش ، ي ، ك ، وفى ط: «فاجر».

(٣) أورد الطبرى بعض أبيات هذه القصيدة ونسبها لشاعر يسمى «حميد بن مسلم».

(٤) «غدره» كذا فى ط ، وفى ص ، ش: «مرة» وفى ط: «وتقتل» موضع «فتقتل».

(٥) ط: «أو» فى موضع «إن» والشكل: فقدان المرأة ولدها، وكذا الثكل، و «لمسود» كذا فى ط ، وفى ص ، ش: «ولسيد» والمعنى سيد ابن سيد أى نسيب ذو نسب عريق وفى ط: «سمح الخليقة» فى موضع «ضخم الدسيعة» وفى هـ: «الدسيعة الخلق»، ويقال الجفنة، وهنا لا تكون الدسيعة إلا بمعنى الجفنة أو العطية الجزيلة أو المائدة الكريمة.

(٦) ط: «يكشف» فى موضع «يحمل» و «قتالهم» فى موضع «ويحوظهم» و «القتال» فى موضع «الضراب» ويحوظ: يكلاً ويرعى، والضراب: القتال، وفى هـ: «النزال: المنازلة فى الحرب».

أقسمتُ ما نيلتُ مقاتلُ نفسه
وتناجز الأبطالُ حولَ لوائه
يوما طويلا ثمَّ أخرجَ ليلهم
وتفرجت عنه الصفوفُ وخيله
حتى تسربلَ من دم سربال^(١)
بالمشرفيةِ في الألفِ نضالا^(٢)
حتى استبانوا في السماء هلالا^(٣)
فهناك نالتهُ الرماحُ نهالا^(٤)

* * *

وقال سراقه أيضا:

متى ما تلقَى بي خيلا تداعى
فلستُ بكارهٍ للقاءِ ربي
ودونَ فراقها وجعٌ وموتٌ
ولا فرح الفؤادِ إذا نجوتُ

(١) «نيلت» كذا في ط، وفي ص: «سبلت» وفي ش: «سلبت» ونيلت مقاتله أى أصيب في المواضع التي تسبب الموت عند إصابتها، وفي ط: «تدرع» في موضع «تسربل» وتسربل بمعنى تدرع أى لبس قميصا، والمعنى أن الدم غطاه فكانه قميص له.

(٢) في ش: «تناحر» بالحاء، وتناجز القوم أى سفك بعضهم دم بعض، وفي ط: «تحت» في موضع «حول» وفي ش: «في المشرفية» وهو خطأ، والمشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام، و«نضالا» بالضاد فى هـ، وفي ص، ش: «نصالا» بالصاد.

(٣) «ليلهم» كذا فى ط، وفى ص، ش: «ليلة» ولكن رواية ط أولى لأن الموقعة لم تستمر غير يوم، وفى ط «حين» فى موضع «حتى» واستبان الهلال: ظهر، واستبانوه: رأوه.

(٤) ط: «تكشفت» فى موضع «تفرجت» والروايتان بمعنى واحد، والخيل تكون بمعنى الفرسان أيضاً، «نهالا» كذا فى نسخة مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وفى الأصول «فمالا» والنهال: المرتوية.

أَقَاتِلُ حِينَ أُعْرَفُ وَسَطَ قَوْمِي
وَأَصْبِرُ فِي أُمُورٍ قَدْ عَرَّتْنِي
وَلَسْتُ بِبَلَّاطِمٍ وَجْهَ ابْنِ عَمِي
وَلَا أَلْهُو بِقَيِّنَةِ أَقْرِبَائِي
كَذَلِكَ نَشَأْتُ فِي قَوْمِي صَغِيرًا
وَأَسْتَحْيِي الْكِرَامَ إِذَا نَبَوْتُ^(١)
فَمَا جَزَعُ الْفُؤَادُ وَمَا شَكُوتُ^(٢)
وَشُلُّ الْخَمْسُ مِنِّي إِنْ نَصُوتُ^(٣)
وَمَا عَلِمِي بِهِنَّ إِذَا قَفُوتُ^(٤)
وَرَبُونِي بِذَلِكَ إِذْ رَبُوتُ^(٥)

* * *

وقال سراقه:

لَا تَنْكَحَنَّ الدَّهْرَ إِنْ كُنْتَ نَاكِحًا
وَبُيِّئْتَهَا تَسْرَى إِذَا اللَّيْلُ جَنَهَا
مُلْفَفَةٌ مِمَّا تَضُمُّ الدَّسَاكِرَ^(٦)
بِجَوْخِي وَهَلْ تَسْرَى بِجَوْخِي الْحَرَائِرَ^(٧)

(١) هـ: «يقول: إذا كانت مني نبوة فكلمني كريم استحييته، ويكون أيضا نبا به الزمان، وقل مال، فنزل به ضيف، فاستحيا من رده».

(٢) عرا: أصاب، وفي ش: «لا» في موضع «ما».

(٣) اللطم: الضرب على الوجه بباطن الكف، والخمس: أصابع اليد، ويقصد اليد ذاتها، وفي هـ: «نصوت: أخذت بناصيته».

(٤) القينة: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية، وفي هـ: «قفوت: أي مضيت».

(٥) هـ: «من الترية».

(٦) «ملففة» كذا في ش، وفي ص: «ملففة» وملففة أي مستورة محتشمة، أي لا تتزوج من النساء المتحشمات في القرى اللاتي يسنن بجوخي ليلا، والدساكر: القرى، وتطلق على القصر الذي حوله بعض البيوت.

(٧) سري يسرى سري وأمرى أي سار ليلا، وجنّها الليل: سترها، وجوخي: بلد بالعراق تسقى من نهر جوخي.

لها مغزل حنان حين تديره^(١) ومن كامخ القرهي جراد حوادر^(٢)

* * *

وقال سراقه:

مجالسة السفية سفاه رأي^(٣) ومن حلم مجالسة الحليم
فإنك والقرين معاً سواء^(٤) كما قد الأديم على الأديم^(٥)

* * *

وقال سراقه يهجو جرير بن الخطفي^(٦):

لعمرك إنى فى الحياة لخائف^(٧) لبشر على أن لست متركاً ذحلاً^(٨)
إذا كان قلبى للخليفة ناصحاً^(٩) ووجه الأمير حين أحضره سهلاً^(١٠)
تهضمت أعدائى وجاشت مارجلى^(١١) تخال القمام تحتها حطباً جزلاً^(١٢)

(١) الشطر الأول كذا فى هـ، وفى ص ، ش: «لها مغزل أعبا إذا ما تديره» والروايتان تريدان أنها لا تعرف أن تعمل، وحنان: مصوت، والكامخ: نوع من الطعام الشبيه بالسلطة من المشهيات، وفى هـ: «القرهي: الكبر، وحوادر: عظام» يريد أنها تكثر من المشهيات، لتأكل كثيراً، فيمتلئ جسدها وتسمن.

(٢) قد: قطع، والأديم: الجلد، وفى ص ، ش: «الأديم من الأديم» وهو تحريف.

(٣) انظر سبب الهجاء بينهما فى المقدمة.

(٤) مترك: تارك، والذحل: الثأر.

(٥) الخليفة هو عبد الملك بن مروان، والأمير هو بشر بن مروان، والوجه السهل: الطلق المنبسط الأسارى.

(٦) تهضم: ظلم، وجاشت: غلى واضطرب، وفى هـ: «القمام صغار الحطب» والمعاجم تقول إنه الكناسة، وفى ص ، ش: «جزلاً» بالراء، تحريف.

فإن أهجُ يربوعاً فإني لا أرى
صغاراً مقاربيهم، عظامٌ جُعورهمُ
قَبَيْلَةٌ لا يدركونَ بتبلهمُ
سواءً كأَسنانِ الحمارِ فلا ترى
لعمري لقد باعَ الفرزدقُ نفسهُ
لشيخهمُ الأتقى على ناشئِ فضلاً^(١)
بطاءً إلى الداعي إذا لم يكنْ أكلاً^(٢)
ولا يسبقونَ الدهرَ مطلباً تبلاً^(٣)
لذي شيبةٍ منهم على ناشئِ فضلاً
بوَكْسٍ وجارِي لا كفيًا ولا فحلاً^(٤)

* * *

وقال أيضا يهجو جريرا:

لمن الديارُ كأنهنَّ سُطورُ
تخشى ربيعةً أنْ ألمَّ بدارها
طارَتْ عُقايي طيرةً فتحيرتُ
[يا بشرُ حقَّ لوجهك التبشيرُ
قَفَرٌ عَفَتْهُ رِوامسٌ ودهورُ
وكأنتي بطلايها مأمورُ^(٥)
وحمتُ بَوازَ صيدها وصقورُ
هلاً غَضِبْتُ لَنَا وَأنتَ أميرُ^(٦)

(١) يربوع: رهط جرير، وفي ش: «فإنتي» بدلا من: «فإني».

(٢) المقارى: القدور والقصاع، أى هم بخلاء، والجعور: الأديار، أى هم شرهون وفي هـ: «يقول: هم أصحاب بطون».

(٣) التبل: الثأر، والمطلب: الطالب، يصفهم بالضعف فإن كان لهم ثأر لم يستطيعوا الأخذ به، وإن كان لأحد عندهم ثأر لم يستطيعوا الإفلات منه.

(٤) الوكس: النقص، وجاراه: جرى معه، أى سابقه ونافسه، والكفى: الكفء.

(٥) ص، ش: «أخشى» والمعنى لا يتضح إلا بالتغيير الذى أحدثته، والطلاب: الطلب.

(٦) هذا البيت من قصيدة جرير التى ردَّ بها على سراقه، وإنى موردها هنا، للمضاهاة بين القصيدتين:

يا صاحبي هل الصباحُ منيرُ
أنى تكلف بالغميم حاجةً
أم هل للوم عواذلي تفتيرُ
نهيا حمامةً دونهُ وحفيرُ =

لولا تُسَكَّنُهُ لَكَادَ يَطِيرُ
 فَلَهْنَ مِنْكَ تَعَسُّدٌ وَزَفِيرُ
 حَتَّى اسْتَبِينَ بِسَمْعِهِ تَوْقِيرُ
 إِنَّ الْيَسِيرَ بِذَا الزَّمَانِ عَسِيرُ
 قَدْ عِيلَ صَبْرُكَ وَالكَرِيمُ صَبُورُ
 بِالْبُغْضِ نَحْوِكَ وَالْعَدَاوَةِ عُورُ
 إِنَّ الْكَتْسُومَ لَسِرَّهُ لَجَدِيرُ
 هَزَجٌ يُرِنُّ عَلَى الدِّيَارِ مَطِيرُ
 إِنَّ الْمَحَبَّ لَمَنْ يَحِبُّ ذَكُورُ
 وَكَأَنَّهُنَّ مِنَ الْهَوَاجِرِ عَوْرُ
 هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ
 يَا تَيْكَ مِنْ قَبْلِ الْإِلَهِ بِشِيرُ
 عَسْرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ
 يَا آلَ بَارِقٍ فَصِيمَ سُبِّ جَسِيرُ
 وَابْنُ اللَّثِيمَةِ لِلثَّامِ نَصُورُ
 رَجَسٌ وَإِنْ خَرُوجُهُمْ تَطْهِيرُ
 خَطْبٌ وَأَمَّكَ يَا سِرَاقَ يَسِيرُ
 قَدِمْنَا إِذَا كُرِهَ الْخِيَاضُ جَسُورُ
 أَمْرًا مَطَالِعُهُ عَلَيْكَ وَعُورُ
 لِلْبَارِقِ فَإِنَّهُ مَغْرُورُ
 وَالْعَجَلُ يُعْكَفُ حَوْلَهُ وَيَخُورُ
 طَوْلًا وَبَاعُكَ يَا سِرَاقَ قَبِيرُ

= عَادَاتُ قَلْبِكَ حِينَ خَفَّ بِهِ الْهَوَى
 إِنَّ الْعَوَازِلَ لَمْ يَجِدَنَّ كَوَجَدْنَا
 يَنْهَيْنَ مِنْ عَلِقِ الْهَوَى بِفِزَادِهِ
 لَيْتَ الزَّمَانَ لَنَا يَعُودُ بِمُسْرِهِ
 يَا قَلْبَ هَلْ لَكَ فِي الْعِزَاءِ فَإِنَّهُ
 وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْوُشَاةِ كَأَنَّهُمْ
 وَكَتَمْتُ سِرَّكَ فِي الْغَوَادِ مُجْمَعًا
 فَسَقَى دِيَارِكَ حَيْثُ كُنْتُ مَجْلَجَلُ
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِي الْيَمَامَةِ ذُكْرًا
 وَالْعَيْسُ مُنْعَلَةٌ السَّرِيحُ مِنَ الْوَجَى
 يَا بَشْرُ حَقٌّ لَوْجُوهُكَ التَّبَشِيرُ
 يَا بَشْرُ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَعْمَةٍ
 بَشْرُ أَبُو مَرْوَانَ إِنَّ عَاسِرَتَهُ
 قَدْ كَانَ حَقِّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقِ
 إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ ابْنُهَا
 لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ إِنْ دَخَلَهُمْ
 أَمْسَى سِرَاقَةٌ نَدَى عَوَى لَشِقَائِهِ
 أَسْرَاقٌ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدَّ أُنَى
 أَسْرَاقُ إِنَّكَ قَدْ غَشِيَتْ بِيَارِقِ
 يَا آلَ بَارِقٍ لَوْ تَقَدَّمْ نَاصِحُ
 كَالسَّامِرِيِّ غَدَاةً ضَلَّ بِقَوْمِهِ
 إِنِّي بَنَى لِي مِنْ يَزِيدٍ بِنَاؤُهُ

حَرَّرُ كَلِيبًا إِنَّ خَيْرَ صَنِيعَةٍ يَوْمَ الْحَسَابِ الْعِتْقُ وَالتَّحْرِيرُ^(١)

لو كنت تعلم ما جهلت فوارسى =
هلاً بذي نجبٍ علمتَ بلاءنا
أبصرتَ قَيْنَ بنى قُفَيْرَةَ مُحَلِّبًا
إن الفرزدقَ قد أصيبَ بهممه
قد كان في كلبٍ يُخَافُ شذاته
أسراقَ إنك قد تَرَكْتَ مُحَلِّقًا
وعَلِقْتَ في مَرَسٍ يمدُّ قريته
لحصادُ بارقَ كان أهونَ ضَيْعَةٍ
من مُخَدَّرِ قطعِ الطريقِ بَلَعْلَعٍ
تُوْتِي الكرامُ مُهورَهَنَ سِياقَةَ
إن الملامةَ والمذلةَ فاعلموا
أكسحتَ بامتكَ للْفَخَارِ وبارقُ
وإذا انتسبتَ إلى شِئْوَةٍ تَدْعِي
إني بنى لى زاخرٌ من خِنْدِفٍ
أسراقَ إنك لو تفاضلُ خِنْدِفًا
أسراقَ إنك لا نِزارًا نِلْتُمُ
أسراقَ إن لنا العراقَ ونجدَهُ
أرجا سراقَةَ أن يفاضلَ خِنْدِفًا

أيامَ طخفَةَ والدماءُ تمرُّ
أو يومَ أصعدَ بالنَّسارِ بَجِيرُ
أسراقَ ليس لبارقَ التَّخْيِيرُ
فضغًا وأسلمَ تغلبَ الختِيرُ
مِنِّي وما لقي الغُصاةَ نذِيرُ
وغبارُ عِشِيرِها عليك يثورُ
حتى التوى بك مُحصَدٌ مشزورُ
والمِخْلَبانِ ودونك المنحورُ
تَهْوِي مخالبه معا فيسورُ
ونساءَ بارقَ ما لهن مهورُ
قدرُ لاولِ بارقٍ مقبُورُ
شيخانٍ: أعمى مُقْعَدٌ وضريرُ
قالوا ادعاءُ أبى سراقَةَ زورُ
للملِكِ فيه منابرٌ وسريرُ
بَقَّتْ عليك من الفُراتِ بحورُ
والحيُّ من يَمِنِ عليك نصيرُ
والغورُ ويلَ أيبك حينَ نغورُ
وأبو سراقَةَ في الحصى مكثورُ

(١) «العتق» كذا في س ، وفي ص ، ش ، ك ، م : الصوم، وعليه يكون المعنى: أن جزاء الصوم وتحرير الرقاب لا يعدله جزاء عند الله.

هب لى ولاهم أولادنى دارم
 اضرب عليهم فى الجواهر حلقة
 ما يطلعون مع الكرام نية
 أبلغ تمىما غثها وسمينها
 أن الفرزدق برزت حلباته
 ما كان أول محمر عثرت به
 ذهب الفرزدق بالفضائل والعلا
 هذا قضاء البارقي وإننى

إنى وربى إن فعلت شكور^(١)
 تبقى فإن إياهم محذور^(٢)
 ولهم منازل دون ذلك وعور^(٣)
 والحكم يقصد مرة ويجور^(٤)
 عفوا وغودر فى الغبار جرير^(٥)
 أنسابه إن اللثيم عثور^(٦)
 وابن المراغة مخلف محسور^(٧)
 بالميل فى ميزانهم لبصير^(٨)

* * *

(١) هـ: «ولاهم: أن يكونوا مواليه، وإنما يعيرهم أنهم عبيد» ودارم: قبيلة الفرزدق.

(٢) ينصحه بوشمهم مثل الإبل، ليعرفوا عندما يفرون، والإباق: فرار العبد.

(٣) الثنية: الطريق فى الجبل، وطلاع الثنايا: سام لمعالى الأمور.

(٤) تميم: قبيلة جرير والفرزدق، وفى س: «عنها» بدلا من «غثها» تحريف، و«الحكم» كذا فى ش، غ وفى ص: «والحلم» وفى س: «والقول» ويقصد: يعدل، أن يذهب مستقيما، ويجور: يظلم أو ينحرف.

(٥) «حلباته» كذا فى س، ورواية أبى ريش فى هـ: «أعراقه» وكذا فى غ، وفى ص، ش «حلابه» والحلبات: جماعات الخيل، واحدها حلبه، وفى غ: «سبقا وخلف» بدلا من «عفوا وغودر».

(٦) غ: «كنت» بدلا من «كان» و«قعدت» بدلا من «عثرت» و«مسعته» بدلا من «أنسابه» وفى ش: «آبأزه» وفى هـ: «المحمر: الشقيل من الدواب؛ الشقيل الصدر» وفى المعاجم: المحمر: اللثيم.

(٧) هذا البيت زيادة من غ، وساقط من الأصليين.

(٨) س: «القضاء» فى موضع «قضاء» وفى غ: «إنه» فى موضع «إننى» فى س: «بالمثل» فى =

وقال سراقه حين فسد ما بينه وبين الفرزدق:

قد كنت أحسبُ يا بن قين مجاشع
ولقد علمت على تباغيك الخنا
أنَّ الخصى يشولُ حين يرومه
أنَّ الخصى إذا استُفزَّ ذَعورُ^(٢)
أنَّ قد خصاك فلا تغطُّ جريراً^(١)
قَرَمُ قَراسِيَةَ اللقَاءِ غيورُ^(٣)

* * *

وقال سراقه:

لا تطلبين فتاةً من وسامتها
والرفقُ يجمعُ أهلَ البيتِ ما اجتمعوا
ما لم [يوافقك] منها الدينُ والخلقُ^(٤)
وقد يشقُّ على أصحابه الخرقُ^(٥)

* * *

= موضع «بالميل» وهو تصحيف، وفي هـ: «بخظه: أنسابهم، وتحتها كلمة ميزانهم» وفي غـ: «ميزانكم» وفي س: «لجدير» في موضع «لبصير» والمعنى أن هذا هو حكيمى، وهو صادر عن علم بالراجع منهما، أى بذى النسب العريق، لا عن جهل بهما.

(١) القين: الحداد، والعبد أيضاً، ومجاشع: رهط الفرزدق، والغطيظ: صوت النائم، يريد أن جريراً خصاك، فلا يمكنك أن تخرج صوتاً، أو تقول شعراً، لأن جريراً قد تفوق عليك كل التفوق.

(٢) بَغَى الضالة يبغيها: أى طلبها، والخنا: الفحش، «واستفزَّ كذا فى ش، وفى ص: «استقر» وذعور: جبان.

(٣) يشول: يرفع ذنبه مولياً هاربا، ويروم: يطلب ويبغي، والقرم: السيد المكرم، والقراسية: الضخم الشديد.

(٤) هـ: «لا تُمسين» فى موضع «لا تطلبين» و«وسامتها» كذا فى ش، وفى ص: «سامتها» و«يوافقك» كذا فى ش، وفى ص: «يوافقك».

(٥) ش: «فاجتمعوا» فى موضع «ما اجتمعوا».

وقال سراقه^(١):

ألا يَا لَقَوْمِي لِلْهُمُومِ الطَّوَارِقِ
وَمَهْلِكِ غَطْرِيفِ بْنِ كَانَا عَمَادَنَا
سَمِعْتُ فَهَدَّ الرَّكْنَ مِنْ صَوَارِحِ
بِأَسْرِ حُمَاةِ يَالَهَا مِنْ رِزِيَّةِ
وَمَصْرَعِ مَرْدَاسٍ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ
وَلِلْحَدَثِ الْجَائِي يَأْخُذِي الْمَضَائِقِ^(٢)
مَنْ الذَّائِدِينَ الْمُقَدِّمِينَ الْأَصَادِقِ^(٣)
وَقَدْ غَوَّرَتْ أَوْلَى النُّجُومِ الْخَوَافِقِ^(٤)
إِذَا الْحَرْبُ أُبْدِتْ عَنْ خِدَامِ الْعَوَاتِقِ^(٥)
وَصُحْبَتِهِ تَحْتَ السِّيُوفِ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) ذكر الطبري في حوادث عام ٦٨ سبب هذه القصيدة، قال: «إن مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على استان العال، فلما قدم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه، ثم أمره بعد ذلك على عمله السنة الثانية. فلما قدمت الخوارج المدائن سرحوا إليه عصابة منهم، عليها صالح بن مخراق، فلقبه بالكرخ، فقاتله ساعة، ثم تنازلوا؛ فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بن أبي جعال ورجل من قومه، وانهزم سائر أصحابه، فقال سراقه بن مرداس البارقي في هذه القصيدة.

(٢) في جميع النسخ «لقوم» الطوارق: المصائب التي تأتي ليلاً، «والمضايق» كذا في ص و ش، وهي جمع مضيق، وهي النوازل التي يعيا بها الإنسان ويضيق، وفي ط: «لصفائق» والصفائق: صوارف الخطوب وحوادثها، الواحدة: صفيقة.

(٣) هـ: «الغطريف: السيد، والبازي غطريف» والذائدون: جمع الذائد، وهو المدافع عن الحقيقة. والمقدمون: كثيرو الإقدام، والأصادق: رجال الشدة، المستميتون في القتال، هكذا ورد البيت في ص، ش، وفي ط:

ومقتل غطريف كريم نجاره
من المقدمين الذائدين الأصادق

(٤) كذا ورد الشطر الأول في ص، ش، وفي ط: «أتاني دوين الخيف قتل ابن مخنف» وغورت: غابت، والخواقق: التي يضطرب نورها.

(٥) هـ: «يقول: إذا الحرب كانت شديدة، وذلك أن النساء إذا خفن على أنفسهن أن يُسبِنَ كشفن عن أسوقهن، ليزدن في قتال أزواجهن وقومهن، فيغارون، فيقاتلون إذا رأوا ذلك» ثم صار الكشف عن الساق والخلخال كناية عن اشتداد الحرب.

(٦) البوارق: اللامعة.

- فريقين: هذا قَرْمٌ غامدٌ كُلُّهَا
 فأوَيْستُ ممنُ كنتُ أملُ نفعه
 وثوبٌ داعى الموتَ بالموتِ بيننا
 وعاذتُ بأيديها النساءُ كأنها
 ودرنا ودار الجمعُ في حَمَسِ الوغى
 هنالك لا يُزجى حياها لنفعها
 فبا عينُ بكى الراتقينَ أولى النهى
 وبكى إياسًا فارسَ الحربِ وانديى
- وهذا الذرى والفرعُ من آلِ بارقِ (١)
 إِذَا نُسِتَ منّا كرامُ الخلائقِ (٢)
 ودارتْ رحي حربٍ بقُعسِ البطارقِ (٣)
 مصاييحُ ليلٍ أو وميضُ العقائقِ (٤)
 كما دارَ ولدانٌ لهواً بالمخارقِ (٥)
 إياسٌ ولا يُرْجى لدفعِ البوائقِ (٦)
 سمامَ العدى وابكى حماةَ الحقائقِ (٧)
 حماهاً لدى الهيجاءِ فى كلِّ مازقِ (٨)

(١) غامد: «حى من اليمن، والذرى: الجانب والكنف والظل.

(٢) «فأوَيْستُ» كذا فى هـ، وفى ص، ش: «فيئست» وفى هـ: «نسفت: قلعت».

(٣) هـ: «ثوبٌ: دعا داعى الحرب، والقُعس: البطاء البراح» والبطارق: جمع بطريق، وهو قائد الروم، والمراد هنا القائد مطلقاً.

(٤) عاذ: لجأ واحتمى.

(٥) حمس الوغى: اشتداد الحرب، وولدان: جمع وليد، ويقال: لهى بالشيء، بكر الهاء، أى لعب به، والمخارق: المنديل يُلفُّ ليُضرب به.

(٦) يزجى: يسوق، وفى ص، ش: «يرجى» تصحيف، وفى هـ: «بخطه: حياها» بالياء بدلا من الياء، والحيا: المطر، وفى هـ: «البوائق: الدواهي».

(٧) الراتقون: أى الذين يصلحون الفاسد، ويقومون المعوج، وأولو النهى: ذوو العقول الراجحة، وسمام: جمع سم، والحقيقة: ما يجب على الإنسان حمايته.

(٨) الهيجاء: الحرب، والمازق: الشدة.

- فقدُ فُجِعَتْ أزدُ العراقِ وشامها
وأمدحَلْ وادينا وأوحشَ أهلهُ
فقد أصبحتُ نفسي لذكاءِ حزينه
فما أنا في طول الحياة براغب
فليت المنايا أقصدتني سهامها
ولم تُبقِ في طيشِ رعاعِ أذلةِ
- وأزدُ عمانَ بالطوالِ الغرائقِ (١)
وبدكَلْ من فرسانه بالنواعقِ (٢)
وشابَ لما حُمَّتْ منه مفارقي (٣)
وما أنا إذ بانوا لدهرِ بوامقِ (٤)
وعاقتُ أبا بكرٍ بزحرِ عوائقي (٥)
عواويرَ في الهيجاءِ غداةِ التلاحقِ (٦)

(١) ص، ش: «أسد» بالسين بدلا من الزاي، وفي هـ: «الغرائق: الشباب السود الرؤوس، يقول: قتلوا شبابا، ومعناه: أنهم كرام ذو سؤدد يقتلون، لا يموتون على فرشهم شيوفا».

(٢) «بدل» كذا في ش، وفي ص: «ندل» وهو تصحيف، وفي هـ: «النواعق: أصحاب الضأن» وهذا جائز، ويجوز أن تكون النواعق الطيور التي تنعق في الأماكن الخالية، أي أن الطيور سكنت منازلهم بعد موتهم..

(٣) «منه» كذا في ط، وفي ص، ش: «منها» والمفارق: جمع مفروق، وهو وسط الرأس، أي الموضع الذي يفرق فيه الشعر.

(٤) بان يبين: نأى وارتحل، والوامق: المحب.

(٥) هـ: «أقصدتني: قتلتني» وفي ص، ش: «عافت» بالفاء بدل القاف، وهو تصحيف، وفي هـ: «بخطه: ابن جز: عوائقي، وفي الحاشية: ابن بحر، وزحر: موضع، قال السكري كذا كان بخط ابن حبيب، ثم رجع عنه وقال: ابن زحر» وزحر: من قرى مشرق جهران باليمن.

(٦) الطيش: النزق والخفة، ووصفهم بالمصدر، مثل رجل عدل، ورجال عدل، أي عادل وعادلون، والرعاغ: السفلة والطغام، والعواوير: جمع عوار، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار، والتلاحق هنا: بمعنى القتال.

إِذَا مَا الْخَصَى طَارَتْ وَجَادَ بِنَفْسِهِ
 وَحَامَى الْمُحَامَى عَنْ أَبِيهِ وَبَرَزَتْ
 وَعَرَدَ أَبْنَاءُ اللَّثَامِ مَخَافَةً
 وَإِنْ أَكْ مُفْجِعًا حَزِينًا مُرْزَأً
 فَمَا أَنَا بِالْوَانَى وَلَا عَاجِزِ الْقُوَى
 وَلَا لَاطِمِ وَجْهِ ابْنِ عَمَى سَفَاهَةً
 أَخُو الْمَوْتِ تَحْتَ اللَّامِعَاتِ الْخَوَافِقِ (١)
 بِأَحْسَابِهَا أَهْلُ الْبُيُوتِ الشَّوَاهِقِ (٢)
 وَحَامَى حِمَاةَ الْجَمْعِ عَنْ ذِي الْوَشَائِقِ (٣)
 يُورِّقُنِي طَيْفُ الْهَمُومِ الطَّوَارِقِ (٤)
 وَلَا نَزِقَ يَخْشَى أَذَاتِي مِرَافِقِي (٥)
 وَلَا أَنَا بِالْعُورَاءِ يَوْمًا بِنَاطِقِي (٦)

وقد أورد الطبري عدة أبيات بعد البيت:

* سمعتُ فهدَّ الركنَ منى صوارخُ *

فأوردها هنا كي تكون أجزاء القصيدة مجتمعة في مكان واحد، قال:

فَقَلْتُ تَلَقَّكَ الْإِلَهُ بِرَحْمَةٍ
 لَحَى اللَّهُ قَوْمًا عَرَدُوا عَنْكَ بِكَرَّةٍ
 تَوَلَّوْا فَأَجَلَوْا بِالضَّحَى عَنْ زَعِيمِنَا
 وَصَلَى عَلَيْكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَشَارِقِ
 وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلَّامِعَاتِ الْبُورِقِ (٧)
 وَسِيدِنَا فِي الْمَازِقِ الْمُتَضَائِقِ

(١) هـ: ارتفعت الخصى من الفرق.

(٢) ش: «بأحسابها» في موضع «بأحسابها» وهو تصحيف.

(٣) عرد: هرب، والشيق والوشيقة: اللحم يُغلى إغلاء ثم يقدد ويحمل في الأسفار، وهو أبقى قديد يكون، وذو الوشائق: حاملها، أي حامل الطعام عند السفر.

(٤) المرزأ: المصاب دواما، وفي هـ: الطوارق: التي تجيء ليلا.

(٥) الوانى: الضعيف الفاتر.

(٦) هـ: العوراء: الكلمة القبيحة.

(٧) لحي يلحي: لام.

فَأَنْتَ مَتَى مَا جِئْتَنَا فِي بَيْوتِنَا سَمِعْتَ عَوِيلاً مِنْ عَوَانٍ وَعَاتِقٍ (١)
يَبْكِينَ مَحْمُودَ الضَّرِيبةِ مَا جَدًّا صَبُورًا لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ (٢)

* * *

وقال سراقه:

إِنَّ الْأَحْبَبَةَ آذَنُوا بِتَرْحُلٍ وَبِصُرْمٍ حَبْلِكَ بَاكِرًا فَتَحْمَلٍ (٣)
وَأَنَّ حَادِيهِمْ عَلَى أَخْرَاهِمُ بِصُلَاصِلٍ خَلْفَ الرِّكَابِ وَأَزْمَلٍ (٤)
ذُلًّا حُمُولَتَهَا بَيْنَ عَاجِلٍ خُضْعًا سَوَالِفَهَا تَعُومُ وَتَعْتَلِي (٥)
يَمْشِي وَيُوجِفُ خَدْرُهَا بَغْمَامَةً صَيْفِيَّةً فِي عَارِضٍ مَتَهَلِّلٍ (٦)
رَابٍ رَوَادِفَهَا يَنْوُءُ بِخَصْرُهَا كَفَلٌ لَهَا مِثْلُ النِّقَا الْمَتَهِيلِ (٧)
أَيَّامٌ تَبْسِمُ عَنْ نَقْيٍ لَوْنُهُ صَافٍ يَزِينُهُ سِوَاكَ الْإِسْحَلِ (٨)

(١) العوان: النصف من النساء، والعاتق: الشابة المخدرة التي لم تتزوج.

(٢) الضريبة: الطبيعة والسجية، والحقائق: جمع حقيقة، وهي ما يحق للإنسان حمايته.

(٣) صرم: قطع، وفي هـ: كذا كان بخط السكرى: «فتحمل» بالحاء، وكذا بخط ابن الأعرابي.

(٤) رنّ وأرن: صاح، والصلاصل: الحمار المصوت، والأزمل: كل صوت مختلط.

(٥) «ذلا» كذا في هـ، وفي ص، ش: «ذل» أي أحمالها خفيفة بسبب العجلة في السفر، والسالفة: مقدم العتق.

(٦) الوجيف: ضرب من السير، وفي هـ: «عارض: سحب يعترض في السماء».

(٧) هـ: «الرابي: العظيم» والكفل: العجز، وقيل الردف، والنقا: الكثيب من الرمل، والمتهليل: المتصبب.

(٨) الإسحل: شجر يستاك به.

- ومعلتُ الحَلِيَّ البهيُّ بمُشرق
 ذهبتُ بقلبك في الأنامِ ومثلُها
 وكأنها في الدارِ يومَ رأيتها
 تُعشى البصيرَ إذا تأملَ وجهها
 أو دُرَّةٌ مما تنقى غائصٌ
 فأصابَ حاجتهُ وقالَ لنفسه
 أو بكرٌ أدحىٌ بجانبِ رملةٍ
 تلكَ التي شقتُ علىَّ فلا أرى
 واعلمُ بأنك لا تناسى ذكرها
- رؤد كسالفة الغزال الأكل^(١)
 شعفَ الفؤادَ وسرَّ عينَ المجتلى^(٢)
 شمسٌ يظلُّ شعاعها في أفكل^(٣)
 من حُسْنها وتقيمُ عينَ الأحول^(٤)
 فأسرَّها للتاجرِ المُتنخَلِ^(٥)
 هلُ يخفَّينَ بياضُها في مدخلِ^(٦)
 عرضتُ له دويَّةٌ لم تُحللِ^(٧)
 أمثالها فارحلُ ولا تستقتلِ^(٨)
 وتذكَّرِ اللذاتِ إن لم تذهلِ^(٩)

(١) الرؤد: العنق الحسن الاثناء والالتفات، والأكل: الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل.

(٢) شعفه الحب يشعفه: أحرق قلبه، وقيل أمرضه، والمجتلى: المتأمل في جمالها.

(٣) الأفكل: الرعدة والرعدة.

(٤) هـ: «بخطه: طرف الأحول، يقول: إذا أدار الأحول عينه في وجهها استوى لحسنها».

(٥) المتنخل: المتخير لأفضل الأشياء.

(٦) المعنى أن الغواص قد أصاب طلبته بالحصول على هذه الدرّة، واعتقد أن قيمتها لن تخفى على أحد، ولن يقلل إنسان من قيمتها.

(٧) الأدحية: الحفرة، وفي هـ: «بكر الأدحية: البيضة» و «دوية» كذا في هـ، وفي ص، ش: «بدوية» وفي هـ، أمام لم تحلل: «لم ينزلها أحد» والمعنى أنها تشبه البيضة في مفازة لم يخترقها إنسان، فلا يمكن الوصول إليها، فهي نفيسة كل النفاسة، نادرة جد النادرة.

(٨) هـ: «بخطه: فامحل، وفوقه: فارحل».

(٩) تناسى: تظهر من نفسك أنك ناس.

لو كنتُ متتهكا يمينًا برةً
 أنى بهَا عفٌ ولستُ بأثمٍ
 ما زادَ من وجدِ على وجدى بها
 عقرَ المطيةَ إذ عرضنَ لعقرها
 وافتراً يضحكُ مُعجبًا من عقرها
 لحلفتُ حلفةً صادقٍ متبهلٍ (١)
 وإذا حلفتَ تنجداً فتحللٍ (٢)
 إلا ابنُ عمى يومَ دارةِ جُلجلٍ (٣)
 إنَّ الكريمَ إذا يُهَيِّجُ يَخْتَلِ (٤)
 وتعجبًا من رحلها المتحملِ (٥)

(١) هـ: «منهك: أى لا أبالى، ومتبهل: داع، ومتبهل: لم أستر».

(٢) حلف تنجدا: حلف يميناً غليظة.

(٣) الوجد: الحب، و «هـ: يعنى امرأ القيس» ويشير إلى قصة امرئ القيس التى ذكرها فى معلقته؛ ونقلها هنا عن جمهرة أشعار العرب للقرشى، قال:

الأ ربَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالح
 ويومَ عقرتُ للعذارى مطيتى
 ويا عجبًا من حلَّها بعدَ رحلها
 فظلَّ العذارى يرتمينَ بلحمها
 تُدارُ علينا بالسِّديفِ صحافنا
 ويومَ دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةِ
 تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معًا
 فقلتُ لها سيرى وأرخى رِمامه
 دعى البكرَ لا ترثى له من رِداننا
 بشعرِ كمثلِ الأثحوانِ منورٍ
 ولا سيما يومَ بدارةِ جُلجلٍ
 فيا عجبًا من رحلها المتحملِ
 ويا عجبًا للجارِ المتبذلِ
 وشحمِ كهذابِ الدَّمَقسِ المُفْتَلِ
 ويؤتى إلينا بالعبيطِ المُثْمَلِ
 فقالت: لكَ الويلاتُ إنكَ مُرجلى
 عقرتُ بعيرى يا امرأ القيسِ فانزلِ
 ولا تبعدينى عن جنائكِ المُعلَلِ
 وهاتى أذيقينا جناةَ القَرَنفَلِ
 نقى الثنايا أشنبٍ غيرِ أثعلِ

(٤) عقر المطية: ضرب قوائمها وذبحها، وقوله (يختل) كذا بالأصل، ولعله من الخيلاء، وهى

هنا الارتياح لفعل الكرم.

(٥) هـ: «بخطه: رحله».

وركبنَ أفواجًا وقلنَ فُكاهةً
 فثوى مع ابنة خيرهم في خدرها
 جاروا بهنَّ ولو يشاءُ أقامه
 وتقولُ لما مالَ جانبُ خدرها
 وأرى منَ الرأي المصيبِ ثباته
 واستبقِ ودكَ للصديقِ ولا تقلُ
 ودعِ الفواحشِ ما استطعتَ لأهلها
 وإذا غضبتَ فلا تكنِ أنشوطه
 ما كنتَ محتالا لنفسك فاحتل^(١)
 واشتقَّ عنُ ملكِ الطريقِ المعملِ^(٢)
 قلبَ يعزُّ قطا الفلاةَ المَجْهَلِ^(٣)
 انزلُ لكَ الوبلاتُ إنكَ مُرْجَلِي^(٤)
 أن لا تصلَ جبلا إذا لم تُوصَلِ^(٥)
 أبداً لذى ضغنٍ مبینِ أقبلِ^(٦)
 وإذا هممتَ بأمرٍ صدقِ فافعلِ
 مُستعتداً لفاحشةٍ وتبَسَّلِ^(٧)

(١) هـ: «الفكاهة: المزاح، قال أبو عمرو: خرج أمير المؤمنين على عليه السلام على الحسن والحسين وقبر وهو يمارحهما، فقال: دعوا عنكم الفكاهة، فإنها تورث الضغائن، صدق أمير المؤمنين».

(٢) هـ: «بخطه: فترا، وفي الحاشية: ثوى» وثوى: أى أقام.

وملكُ الطريقِ ومِلكه: وسطه، والطريقُ المُعْمَلُ: اللجب المسلوك، والمعنى أنه ترك الطريق المسلوك وأخذ آخر مهجورا كي لا يراهما أحد.

(٣) القطا: نوع من الطير شهير بمعرفته الرجوع إلى موطنه الأول مهما أبعدت به، وفي هـ: «الممحل، وبخطه: كذا» والمعنى أنه يعرف الطريق أحسن من معرفة القطا له، فلو شاء لمكث معهن ولم يترك الخدم ينحرفون بهن.

(٤) أى ستعقر بعيرى فأضطر إلى السير راجلة.

(٥) فى هـ: «بتانه» فى موضع «ثباته» وفى هـ أيضا «كذا كان مكتوبا نصل، مجزوما».

(٦) الميین: الواضح.

(٧) الأنشوطه: العقدة التى يسهل حلها، أى لا تكن مندفا فى غضبك، و «مستعتدا» كذا فى هـ، وفى ص، ش «مستعدوا» والمعنى مستعدا، والتبسل: العبوس من الغضب.

وإن افتقرتَ فلا تكن متخشعاً ترجو الفواضلَ عندَ غيرِ المُفضِّلِ (١)
 وإذا كُفيتَ فكنْ لعرضك صائباً وإذا أُجئتَ لبذله فتبذلِ (٢)
 وامنعْ هضماتك الذليلَ ولا يُرى مولاك مُهتضمّاً وأنتَ بمعزلِ (٣)
 وإذا تُنوزعتِ الأمورُ فلا تكنْ ممنْ يطأطئُ خدهُ للأسفلِ (٤)
 واعمدْ لأعلاها فإنك واجدٌ أحسابَ قومك باليفاعِ الأطولِ (٥)
 قومي شنوءةٌ إن سألتَ بمجدهمْ في صالحِ الأقوامِ أو لمْ تسألِ
 أُخبرتَ عن قومي بعزٍّ حاضرٍ وقيامِ مجدٍ في الزمانِ الأولِ
 ومآثرٍ كانتْ لهمْ معلومةٌ في الصالحينَ وسُوددٍ لمْ يتحلِّ (٦)
 الدافعينَ الذمَّ عن أحسابهمْ والمكرمينَ ثويهمْ في المنزلِ (٧)

(١) هـ: «مستوفراً» في موضع «متخشعاً» ومعنى متخشع: ذليل يريد أن يقول: إذا افتقرت فلا تلبس ثوب الذل، ولا تسأل الفضل من الناس، بل اسأل المعطى الوهاب.

(٢) هـ: «بخطه، افتقرت لبذله» في موضع «أجئت لبذله» وفي ص، ش: «لبذلة» بالتاء.

(٣) الهزيمة: الظلم أو لا تظلم الذليل المسكين، ولا ترض بذل مولاك بل ساعده ليكون عزيزاً.

(٤) «ممن» كذا في ش، وفي ص: «مما»

(٥) اليفاع: المرتفع من الأرض.

(٦) نحل السؤدد: ادعاه ولم يكن سيدياً.

(٧) الثوى: بمعنى الضيف هنا.

والمطعمين إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ	بِقَتَامِهَا فِي كُلِّ عَامٍ مُّمَحِّلٍ (١)
وَتَغَيَّرَتْ أَفَاقَهَا مِنْ بَرْدِهَا	وَعَدَتْ بَصُرَادَ يَزِيفٍ وَأَشْمَلٍ (٢)
الْمَانِعِينَ مِنَ الظَّلَامَةِ جَارِهِمْ	حَتَّى يَبِينَ كَسَيْدٍ لَمْ يُتْبَلِ (٣)
وَالخَالِطِينَ دَخِيلَهُمْ بِنَفْسِهِمْ	وَذَوَى بَقِيَّةِ مَالِهِمْ فِي الْعَيْلِ (٤)
وَتَرَى غَنِيَّهِمْ غَزِيرًا رَفْدُهُ	وَفَقِيرَهُمْ مِثْلَ الْغَنِيِّ الْمُفْضَلِ (٥)
وَتَرَى لَهُمْ سِيْمَا مُبِينًا مَجْدَهَا	غَلَبُوا عَلَيْهَا النَّاسَ عِنْدَ الْمُحْفَلِ (٦)
وَتَرَاهُمْ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمْ	بِالسَّمْهَرِيَّاتِ الطَّوَالِ الذُّبَلِ (٧)

(١) هـ: «تناوحت: استقبل بعضها بعضاً» وذلك أن الرياح عند ما تتلاقى تحدث صوتاً يشبه النواح، والققام: الغبار، والمحمل: المجذب، فالرياح تسفى الققام في الأعوام المجدية، لعدم وجود الزرع الذى يمسك بالغبار ويصده، والإطعام فى هذه السنين دليل على شدة الكرم، وانطباق النفس عليه.

(٢) هـ: «بخطه: من قرها» فى موضع «من بردها» والصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه، ويزيف: يسير متبختراً، وفى هـ «ويخطه: أشمل: جمع شمل وهى لغة فى الشمال، تغيرت آفاق السماء من برد الدنيا وغدت إلينا...».

(٣) «المانعين» كذا فى هـ، وفى ص، ش: «المانعون» ويبين: يفارق ويرتحل، وفى هـ: «لم يتبل: لم يؤخذ منه التبل».

(٤) الدخيل هنا: بمعنى الضيف، والعيل: المفتقرون.

(٥) «غزيراً» كذا فى هـ، وفى ص، ش: «غزيراً».

(٦) السیما: العلامة.

(٧) السمهرية: القناة الصلبة، وهى منسوبة إلى «سمهر» اسم رجل كان يقوم الرماح. والذبل: الرفيعة، وهى صفة مستحسنة فى الرماح.

صعب مذاقته رزين الكلكل ^(١)	في ساطع يسقى الكُماة نجيعه
وسط الندى إذا تكلم مفصل ^(٢)	كم في شنوءة من خطيب مصقع
كالبدر لاح من السحاب المنجلي	جزل المواهب يستضاء بوجهه
فمتى تحمله العشيرة يحمل ^(٣)	ناب بكل عزيمة تغشاهم
أو غرم عان من صديق مثقل ^(٤)	من حطة لا يستطاع كفاؤها
عند السماء وجارهم في معقل ^(٥)	لاني من الأزد الذين أنوفهم
ورموا بسهم في النضال معضل ^(٦)	رامت تميم أن تناول مجدنا
مقبوضة فتذبذبت في المهبل ^(٧)	وسعوا بكف ما تنوء إلى العلا

(١) الساطع: السيف المتلألئ البراق، هـ: «الكمى: الشديد الذى يكفى شجاعته، أى لا يظهرها» فهو يسترها تحت السدروع، و «نجيعه» كذا فى ش، وفى ص: «بحتفه».

(٢) «مفصل» كذا فى ش، وفى ص: «مفضل».

(٣) ناب بكل عزيمة: متفرد فى القيام بالعظام، و«تغشاهم» كذا فى ش، وفى ص: «يعشاهم» والمعنى: تصيهم.

(٤) الكفاء: المثل، والعانى: الأسير، والمثقل: الذى أثقلته الحاجة، أى إن الممدوح يفرج كرب المكرويين.

(٥) ص، ش: «الأسد» موضع «الأزد» والمعقل: الملجأ الحصين.

(٦) «النضال» كذا فى ش، وفى ص: «النضال» وفى هـ: «بخطه: معصل» والسهم المعضل أو المعصل: هو الذى يلتوى إذا رمى به.

(٧) ش: «سطوا» فى موضع «سعوا» وفى هـ: «مقبوضة أى لا تنهض إلى العلى، يقول: قصير الباع» والمهبل: الرحم.

حسداً على المجد الذي لم يأخذوا فيما مضى منه بحجة خردل
 وأنا الذي نبحت معدُّ كلِّها أسدُّ لدى الغايات غير مخذَلٍ (١)
 قلُّ للتعالب هل يضرُّ ضبا حُهاً أسداً تفرَّسها بناب مقصَلٍ (٢)
 ولقد أصبت من القريضِ طريقةً أعيت مصادرهما قرين مهلهلٍ (٣)
 بعد امرئ القيس المنوّه باسمه أيام يهذى بالدخول فحوملٍ (٤)
 وأبو دُوادٍ كان شاعرَ أمةٍ أفلت نجومهم ولمَّا يأفلٍ (٥)

(١) «الغايات» كذا في ش، وفي ص: «الغابات» والشطر الثاني في هـ: «قال: وأشدُّ في الغابات...» وفي ص، ش «مخذل» بديل مهملة، والمخذل: المخذول المهزوم.

(٢) الضباح: صوت الثعلب، وتفرس: افترس، والمقصل: القاطع.

(٣) القريض: الشعر، وفي ص، ش: «أعمت» في موضع «أعيت» وهو تصحيف، و «قرين» كذا في هـ، وفي ص، ش: «قريض». وقرين مهلهل: شيطانه الذي يلهمه الشعر، ومهلهل بن ربيعة التغلبي واسمه عدى، ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه. وكان قائد تغلب في حرب البسوس التي اندلع لهيبتها بسبب قتل جساس لأخيه كليب، وبعد خمودها سافر إلى اليمن وأقام هناك، فتزوجوا ابنته كرها عنه، ثم أسره عوف بن مالك؛ ومات في أسره، وهو خال امرئ القيس، وجد عمرو بن كلثوم.

(٤) امرؤ القيس الملك الضليل، صاحب المعلقة المشهورة، وأمير شعراء الجاهلية، أشهر من أن يترجم له. ونوّه باسمه: رفع ذكره وفي هـ: «وحومل» بالواو بدلا من الفاء، والدخول وحومل موضعان، وسراقة لا يعنيهما، وإنما يعنى معلقة امرئ القيس، لورودهما فيها:

قفا نك من ذكرى حبيب ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ

(٥) يشير إلى أبي دواد الإيادي الشاعر الجاهلي المشهور بنعت الخيل.

وَأَبُو ذُؤَيْبٍ قَدْ أَذَلَّ صِعَابَهُ (لَا يُنْصَبَنَّكَ) رَابِضٌ لَمْ يُذَلِّ (١)

(١) أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المخضرم، واسمه خويلد بن خالد، آمن بالنبي، ولكنه لم يره، واشترك مع الجيوش الإسلامية الغارية، فخرج إلى المغرب في غزاة مع عبد الله بن الزبير، فمات ودفن هناك، ويقال إنه لم يمض بالمغرب، وإنما بأرض الروم.

«أذل»: كذا في ش، وفي ص: «أزل» وفي هـ: «يرضينك» في موضع «ينصبنك» و «رابض» كذا في ص، وفي ش «رائض» وهو فاعل أذل في الشطر الأول، يقول: لا يهولنك أمره، فقد أذله أسد رابض لم يذل لأحد، يريد ابن أخته.

لم أجد في ديوان أبي ذؤيب قصيدة فيها هذا الشطر (الثاني) ولكني رجحت أن سراقه يشير إلى قصة أبي ذؤيب مع ابن أخته خالد بن زهير، الذي كان رسوله إلى حبيسته، فأغواها وأخذها منه، كما أغواها أبو ذؤيب إذ كان رسول عبد عمرو بن مالك إليها من قبل، وأخذها من عبد عمرو. وقال أبو ذؤيب عدة قصائد في ذلك، وإني مورد إحداها لتوضح

جو القصة كما يصوره أبطالها، حتى تتمثل إشارة سراقه تمثلاً صحيحاً، قال أبو ذؤيب:

ما حملَ البُختىُّ عامَ غِيَارِهِ	عليه الوُسُوقُ بُرْها وشَعِيرُها
أتى قَرْيَةً كانتَ كَثِيرًا طَعَامُها	كَرَفَعِ التَّرَابِ كُلُّ شَيْءٍ يَمِيرُها
فَقِيلَ: تَحْمَلُ فَوْقَ طَوْقِكَ إِنِها	مُطَبَّعَةٌ مِنْ يَأْتِها لا يَصِيرُها
بِأَعْظَمِ مِمَّا كُنْتُ حَمَلْتُ خالِدًا	وبَعْضُ أماناتِ الرِجالِ غُرُورُها
ولو أنْتى حَمَلْتَهُ البُزْلَ لَمْ تَقْمُ	به البُزْلُ حَتى تَتَلَبَّ صَدُورُها
خَلِيلى الذى دلى لَغى خَليلتى	فكُلًّا أراهُ قَدْ أصابَ عرُورُها
فشا نَكاها إنى أَمسينُ وإنى	إذا ما تحالى مثلُها لا أطُورُها
أحاذرُ يومًا أن تَبينَ قَريتى	ويُسلَمَها جيرانِها ونَصيرُها
رعى خالِدٌ سِرَى لِيالى نَفْسِهِ	توالى على قَصدِ السَبيلِ أَمُورُها
فلما تراماه الشَّبَابُ وغيُّه	وفى النَفْسِ مِنْهُ فَتَنَةٌ وفَجُورُها
لوى رأسه عنى ومالَ بوَدِّهِ	أغانيجُ خَوَدٍ كانَ قَدَمًا يَزُورُها
تعلقه منها دلالٌ ومُقلَةٌ	تظل لأصحابِ الشَّقَاءِ تَدِيرُها =

إذا عَقَدُ الأسرار ضاعَ كبيرُها
على ذاك منه صدقُ نفسٍ وخيرُها
وآمنَ نفسًا ليسَ عندي ضميرُها
من السرِّ ما يُطوى عليه ضميرُها
على صعبةٍ حرفٍ وشيكٍ طُمورُها
تبينَ ويبقى هامُها وقبورُها

فسافرَ والأحلامُ جمَّ عشورُها
إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صدورُها
سواك خليلاً شامئٍ تستحيرُها
وأولُ راضى سنةٍ من يسيرُها
لغيركٍ ولكنى أراك تجسورُها
وأنت صفيُّ النفسِ منه وخيرُها
وهيهاتَ منه دُورُها وقصورُها
الذُّ من السلوى إذا ما نشورُها
صريمتهَا والنفسُ مرَّ ضميرُها
وذا قسوةٍ ينفى بها من يزورُها
فتلك الجوازي عَقَبها ونُصورُها
ذلولاً فإنى ليسَ عندي بعيرُها
ولم يعلُ يوماً فوقَ ظهري كورُها
حديدةٌ حتفٍ ثم ظلَّ يُشيرُها
من السِّمِّ مذرورٍ عليها ذورُها
يُنْفِرُ شَاءَ المُقلِّعينَ خسريرُها

وما يحفظُ المكتومَ من سرِّ أهله
من القومِ إلا ذو عفافٍ يُعِينهُ
فإن حراماً أنْ أخونَ أمانةً
فنفكَ فاحفظها ولا تُفشَ للعدا
متى ما تشأَ أحملكَ والراسُ مائلٌ
ومبا أنفسُ الفتيانِ إلا قرائنُ

فأجابه خالد:

لا يُسعدنَّ اللهُ لَبَّكَ إذ غزراً
وكنتَ إماماً للعشيرةِ تنتهى
لعلك إمامٌ أم عمرو تبدلتَ
فلا تجزَعنَ من سنةٍ أنتَ سيرتها
فإن التي فينا زعمتَ ومثلها
تنقذتها من عبدِ عمرو بن مالكٍ
يُطيلُ ثواءَ عندها ليردها
وقاسمها بالله جهداً لأنتم
فلم يغنِ عنه خدعُه حينَ أعرضتَ
ولم يُلفَ جَلدكُ حازماً ذا عزيمةٍ
فإن كنتَ تشكو من قريبٍ مخانةٍ
وإن كنتَ تبغى للظلامَةِ مركباً
نشأتُ عسيراً لم تُدبِّثْ عريكتي
فلا تكُ كالشورِ الذي دُفنتَ له
ولا تسبقنَّ الناسَ منى بحنِّ
وإياك لا تأخذك منى سحابةٍ

وأرادها حسان يوم تعرضت بردى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السلسلِ (١)

(١) هـ: «ويروي، فأدائها» وفي ص، ش: «الرحيل» باللام، بدلا من القاف، وهو خطأ.

وحسان: هو ابن ثابت الخزرجي شاعر مخضرم، مدح الغساسنة في الجاهلية ودافع عن الرسول بعد الهجرة ضد شعراء قريش، وكان ينشد الشعر على منبر الرسول، وهو يستمع له، وقد مدح شعره، وعمر حسان طويلا، ومات في عهد معاوية بن أبي سفيان، ويشير سراقه إلى قصيدة حسان في مدح الغساسنة:

أسألتَ رسمَ الدارِ أم لم تسألِ	بين الجوابي فالْبُضَيْعِ فحوملِ
فالمرجِ مرجِ الصُّفْرَيْنِ فجامسِ	فديارِ سلمى دُرَّسًا لم تُحللِ
دمنٌ تعاقبها الرياحُ دوارسُ	والمُدجِناتُ من السَّمَاكِ الأعزلِ
دارٌ لقديمٍ قد أراهم مرةً	فوقَ الأعزَّةِ عزُّهم لم ينقلِ
للهِ درُّ عصابةٍ نادمتُهم	يومًا بجَلَّتْ في الزمانِ الأولِ
يمشونَ في الحُللِ المضاعفِ نجها	مشىَ الجمالِ إلى الجمالِ البُزْلِ
الضاربونَ الكبشَ يَبْرُقُ بيضه	ضربًا يطيحُ له بنانُ المَفْصِلِ
والخالطونَ فقيرهم بغنيهم	والمنعمونَ على الضعيفِ المُرْمِلِ
أولادُ جَفَنَةٍ حولَ قبرِ أبيهم	قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يُغشونَ حتى ما تهرُّ كلابهم	لا يسألونَ عن السوادِ المقبِلِ
يسقونَ من وردِ البَرِيصِ عليهمُ	بردى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السلسلِ
يسقونَ درياقَ الرحيقِ ولم تكن	تدعى ولائدهم لِنَقْفِ الحنظلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحابهمُ	شُمُ الأنوفِ من الطُّرازِ الأولِ
فليثتُ أزمانًا طوالا فيهمُ	ثم أدركتُ كأننى لم أفعلِ
إمَّا ترى راسي تغَيَّرَ به	شَمَطًا فاصبح كالشَّغَامِ المُحوِلِ
ولقد أرانى مُوعِدَى كائنى	فى قصرِ دُومَةَ أو سماءِ الهيكَلِ =

ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَحْتَمَمَنَّتْ وَإِخَالُ أَنْ قَرِينَهُ لَمْ يَخْذُلِ^(١)

ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتها = صهباءَ صافيةَ كطعمِ الفُلْفُلِ
يسعى على بكاسها منتطفُ
إن التي ناولتني فسردهتُها
كلتاها حلبُ العصيرِ فعاطني
بزجاجةٍ رقصت بما في قعرها
نبي أصيلٌ في الكرامِ ومذودي
ولقد تُقلدنا العشيَرةُ أمرها
ويسودُ سيدنا جَحَاجِحَ سادةُ
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خَطابةُ
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركبائنا
وفتي يحبُّ الحمدَ يجعلُ ماله
باكرتُ لذتهُ وما ماطلتُها
فيهم ونفصل كلَّ أمرٍ مُعضلِ
ومتى نحكِّمُ في البريةِ نعدلِ
من دونِ والدهِ وإن لم يسألِ
بزجاجةٍ من خيرِ كرمِ أهْدَلِ

(١) هـ: «ابنه عبد الرحمن بن حسان» وهو شاعر أيضا، وله حكاية ظريفة، فقد تغزل بابتة معاوية، فأراد يزيد أن يقتله، ولكن معاوية هداه، وأرسل إلى عبد الرحمن، وقال له: إن ابنته الأخرى غاضبة لعدم تغزله بها، ولم يكن لمعاوية بنات أخرى، فتغزل عبد الرحمن بالأخرى، فظهر للناس كذبه، وقد التجأ يزيد للأخطل، فهجا عبد الرحمن والأنصار بالأشعار التي يقول فيها:

* واللؤم تحت عمائم الأنصار *

فدخل النعمان بن بشير على معاوية وخلع عمامته، وقال: أترى لؤمًا؟ فسكن معاوية من غضبه، ولكنه طلب منه أن يقطع لسان الأخطل، فتوسط له ابنه يزيد.

و «يخذل» كذا في ش، هـ، وفي ص: «يخذل» بالبدال.

وبنو أبي سلمى يقصّرُ سعيهم
وأبو بصير ثم لم يبصرُ بها
واذكرُ لبيداً في الفحول وحاتمًا
ومُعقراً فاذكرُ وإن ألقى به
وأميةَ البحر الذي في شعره
عنا كما قصرتُ ذراعاً جرولاً^(١)
إذ حلَّ من وادي القريض بمخفل^(٢)
سيلومك الشعراءُ إن لم تفعل^(٣)
ريبُ المنون وطائرُ بالأخيل^(٤)
حكّم كوحى في الزبور مفصلاً^(٥)

(١) بنو أبي سلمى: أسرة زهير بن أبي سلمى الشاعر الشهير، صاحب المعلقة المعروفة، وخاله شاعر، وهو بشامة بن الغدير، وابناه كعب وبجير شاعران، ولا ننسى أن نشير إلى قصيدة البردة لكعب، التي مدح بها الرسول، فوهب له بردته.
وفى هـ: «جرول»: هو الحطيثة» الشاعر المخضرم الهجاء المعروف الذي هجا أباه وأمه ونفسه وزوجته.

(٢) أبو بصير الأعشى، واسمه ميمون، شاعر جاهلي أدرك الرسول، وذهب إليه ليلم ويمدحه، فقابلته قريش ومنحته الهبات، والتمست منه الرجوع، فرجع ومات في طريقه، وكان يسمى صناجة العرب، لأنه كان يغنى شعره على الصنج.

(٣) لبيد الشاعر المخضرم صاحب المعلقة أدرك الرسول.

وحاتم الطائي الجواد المعروف، الذي يضرب به المثل، وقد كثرت القصص عن كرمه في حياته وبعد مماته، وله ديوان مطبوع.

(٤) معقر بن حمار البارقى: هو معقر بن السحارث بن أوس، شاعر محسن متمكن، كذا قال الأمدى في المؤلف واختلف.

وفى هـ: «الأخيل»: الشقراق، وهم يتشاءمون به» ولعل المراد بالأخيل هنا: اسم مكان بين دور عبد الله بن غطفان ودور طيئ، كما في معجم ما استعجم للبكري، ولعل معقرا مات هناك.

(٥) أمية بن أبي الصلت الشاعر المخضرم عاش بالطائف، وكان يتحنف قبل الإسلام، ويرجو أن يكون الرسول المنتظر، فدأ ظهر النبي حسده ولم يؤمن به، وله شعر يبين عن إيمان بالله وأبيات تشبه الآيات القرآنية شبيها قريبا والزبور: الكتاب.

واليدمري على تقادم عهده
واقذف أبا الطمحان وسط خوانهم
لا والذي حجت قريش بيته
ما نال بحرى منهم من شاعر
إني فتى أدركت أقصى سعيهم
وغرفت بحراً ما تسد عيونه
وعلى ابن محكان الذي أحكمته
وحليف إبليس الذي هو جاره
ممن قضيت له قضاء الفيصل^(١)
وابن الطرامنة شاعر لم يجهل^(٢)
لو شئت إذ حدثتكم لم أتل^(٣)
ممن سمعت به ولا مستعجل^(٤)
وغرفت من بحر وليس بجدول^(٥)
أرى على كعب وبحر الأخطل^(٦)
فتركته مثل الخصى المرسل^(٧)
وبه يغير كل أمر مغضل

(١) بحثت عن اليدمري كثيرا، ولكنى لم أجد شاعرا بهذا الاسم، ولعل اللفظ محرف عن اليعفري أو ما أشبهه، ولعله يريد الأسود بن يعفر النهشلي.

والفيصل: القاطع المفرق بين الحق والباطل، يريد السيف أو القاضى العادل.

(٢) أبو الطمحان القيني، واسمه حنظلة بن الشرقى، شاعر محسن مشهور، و «أبو الطمحان» كذا فى ش، وفى ص: «أبو طمحان» و «خوانهم» كذا فى ش، وفى ص: «خوانهم» بالحاء، وفى هـ: «هو ابن الطرامنة الكلبي، ويروى: لم يخمل، ويخمل أى يذهب شعره».

(٣) هـ: «بخطه، ابتل» فى موضع «أتل».

(٤) كذا فى الأصول، ولعله محرف عن مستفحل.

(٥) «سعيهم» كذا فى ش، وفى ص: «سعرهم» وهو تصحيف، وفى نسخة المجلة الآسيوية: «سعرهم».

(٦) هـ: «كعب بن جعبل أو كعب بن زهير» والأخطل التغلبى شاعر البلاط الأموى فى عهد عبد الملك بن مروان؛ وقد اشترك مع جرير فى عدة أهاج، وهو فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين.

(٧) مرة بن محكان السعدى التميمى، من بطن يقال لهم بنو ربيع، وكان سيدهم وقد قتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير.

وهُدِيَّةَ العُذْرَى زَيْنَ شعْرهُ
فإِذَا تَقَبَّلَ رَبُّنَا مِنْ شَاعِرٍ
عَمَدَا جَعَلَتْ أِبْنَ الزَّيْبِرِ لَذْبَهُ
ذَهَبَ السَّوَابِقُ غُدْوَةً وَتَرْكَنَهُ
مَنْ شَاءَ عَاقِبِنِي فَلَمْ أَغْفِرْ لَهُ
مَا قَالَ فِي سَجْنٍ وَقِيدٍ مُثْقَلٍ (١)
لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ لَعْنَةَ الْمَتْبَهَّلِ (٢)
يَعْدُو وَرَاءَهُمْ كَعْدُو الثَّيْتَلِ (٣)
إِنِّي كَذَلِكَ مِنْ أُنَاضِلٍ يُنْضَلُ
أَوْ صَدَّ عَنِّي بَعْدَ جَدْعِ مُؤْصَلِ

* * *

ذكروا (٤):

(١) هدية: تصغير هدبة بن خشرم العذرى، الذى تشاتم مع زيادة بن زيد العذرى، فأهانه زيادة، فتريص له هدبة، وقتله غيلة ثم هرب، ولكن الوالى حبس أهله، فرجع هدبة وأسلم نفسه، فحبس وقتل، فى هـ: «ما نال من سجن» فى موضع «ما قال فى سجن».

(٢) فى هـ: «فعلى الفرزدق».

(٣) عبد الله بن الزبير كوفى المنشأ، كان من شيعة الامويين، واتصل بمصعب بن الزبير، ومدح أسماء بن خارجة، وقد سجنه زفر بن الحارث بقرقيسيا، ومدح عبد الملك بن مروان وأخاه بشرا.

(٤) أحببت أن أطلعك على هذا الحادث فى كتب التاريخ، كى تتصور الواقعة تصورا كاملا، فهالك الخبر من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، من حوادث عام ٦٦ هـ، الجزء الثامن ص ٢٦٩.

«أرجف أهل الكوفة بالمختار، وقالوا قتل يزيد بن أنس «أحد قواد المختار» فى المعركة، وانهزم جيشه، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد «الذى كان يزيد بن أنس يحاربه» فيستأصلكم، ويشتف خضراءكم، ثم تماثلوا على الخروج على المختار، وقالوا: هو كذاب، واتفقوا على حربه وقتاله، وإخراجه من بين أظهرهم، واعتقدوا أنه كذاب؛ وقالوا قد قدم موالينا على أشرفنا، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالآخذ بثأر الحسين، وهو لم يأمره بشيء، وإنما هو متقول عليه، وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم =

أن المختار^(١) لما ظفر بالكوفة غدر به أشرافها، فثار عبد الرحمن بن

= ابن الأشر، فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف للقاء ابن زياد، فلما خرج ابن الأشر اجتمع أشراف الناس ممن كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم، في دار شبت بن ربيعي، وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا، فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الإمارة، وبعث المختار عمرو بن ثوبة يريدا إلى إبراهيم ابن الأشر، وقال: إن كنتم لا تصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم، وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابن الأشر بعد ثلاث، فانقسم هو والناس فرقتين: فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل ابن الأشر بمضر وعليهم شبت بن ربيعي، وكان ذلك بإشارة المختار، حتى لا يتولى ابن الأشر بقتال قومه من أهل اليمن، فيحنو عليهم، وكان المختار شديدا عليهم.

ثم اقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالا عظيما، وكثرت القتلى بينهم من الثريقين، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها، وقتل جماعة من الأشراف منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي، وسبع مئة وثمانين رجلا من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلا، ويعرف هذا اليوم بجبانة السبع، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة ست وستين، ثم كانت النصره للمختار عليهم، وأسر منهم خمس مئة أسير، فعرضوا عليه، فقال: انظروا من كان منهم شهيد مقتل الحسين فاقتلوه، فقتل منهم مثنان وأربعون رجلا، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسئ إليهم بغير أمر المختار، ثم أطلق الباقين.

ثم يذكر ابن كثير قصة سراقه كما جاءت في الديوان، فاقترت عليها هناك.

(١) المختار بن أبي عبيد الشقفي، كان رجلا طموحا يريد أن يتولى الكوفة بل الدولة الإسلامية، فأخذ يظهر الطاعة لابن الزبير، ثم انقلب عليه وأظهر التشيع، وتولى الكوفة عام ٧٥ بعد هروب وكان أول من قال بالبداء، وزعم أنه يعلم الغيب، وأن الملائكة تحارب في صفه، وأتى بكرسى، وقال لجنده: هو لكم مثل التابوت للإسرائيليين، وله عدة مزاعم فاسدة، وتتمى إليه طائفة الكيسانية، التي نسبت إلى كيسان صاحب شرطته، وقد قتله مصعب بن الزبير عام ٦٧هـ.

مخنف في جبانة الصائدين(*) وثار عبد الرحمن بن الأشعث في جبانة كندة(*)
 وثار سعيد بن قيس الهمداني في جبانة السبيع(*) وثار محمد بن عمير
 التميمي، وشبث بن ربعي في المضربة والربيعة في الكناسة(*) فأصبح المختار
 وقد غدر به أهل الكوفة، فخرج حتى وقف بالرحبة(*) طويلاً، يؤامر نفسه،
 إلى أي الفريقين يسير: إلى اليمانية أم إلى المضربة، ثم دعا إبراهيم^(١) بن
 الأشتر، وأمره بالمسير إلى المضربة، فقال إبراهيم: بعثتني إلى أهون
 الشوكتين، فدعني أسير إلى أصحابي، وقف أنت مكانك، فإننا إن ظفرنا بهؤلاء
 انهزم الآخرون من غير قتال، فسار إليهم إبراهيم بن الأشتر، فقتل يومئذ أشراف
 أهل الكوفة، وقتل سعيد بن قيس، وارث عبد الرحمن بن مخنف بجراحة،
 وحمل إلى بيت امرأته من همدان، وانهزم الناس، وأسر منهم سبعون من
 معروفى أهل الكوفة، فيهم من الشعراء ثمانية: سراقه بارق، وأعشى همدان^(٢)

(*) أمكنة بالكوفة.

(١) إبراهيم بن الأشتر القائد العظيم الذي يترضيه كل حزب ويستميله إليه، هو ابن الأشتر
 النخعي صاحب الإمام علي، الذي مات مسموماً على حدود مصر، وقد استعان المختار
 بإبراهيم عند انتزاعه ولاية الكوفة من عبد الله بن مطيع، وفي محاربة عبيد الله بن زياد،
 واستعان به مصعب بن الزبير، وقد ظل وفياء له إلى آخر حياته، بالرغم من إغراء عبد
 الملك بن مروان الملح، وتوفى مع مصعب عام ٧١ هـ.

(٢) أعشى همدان: شاعر كوفي من شعراء الدولة الأموية، وكان زوج أخت الشعبي والشعبي
 زوج أخته، وكان أحد الفقهاء القراء، ثم ترك ذلك وقال الشعر، وخرج مع ابن
 الأشعث، فأتى به الحجاج، فقتله صبواً، وكان الأعشى ممن أغزاه الحجاج الديلم فأسر،
 فلم يزل أسيراً في أيديهم مدة، ثم إن بنتا للعلاج الذي كان أسره هويته، وسارت إليه ليلاً،
 وقالت له: أرايت إن خلصتك أنصطفييني لنفسك؟ فقال: نعم، وعاهدها، فحلت قيوده،
 وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته.

وابن همام السلولى^(١) وابن الزبير الأسدى، وكان المختار لا يؤتى بأسير إلا قتله، فلما أدخلوا المسجد الأعظم وهو قاعد ينتظر مجيئهم بهم، فلما كانوا فى وسط المسجد، أمر بهم فصرفوا إلى السجن، فقال سراقه: يا هؤلاء هذه أول العافية، ثم نادى بأعلى صوته:

امننْ على الأقبام يا خير معد^(٢) وخير من لبي وحيًا وسجد^(٣)

[وخير من حل بشجر والجند]^(٤)

فقال المختار: من هذا المنادى؟ قالوا: سراقه بارق، فقال: على بالفاسق، فلما أتى به، قال المختار: كيف رأيت صنع الله بمن غدر وفجر؟ فقال سراقه: امنن على، قال: أما والله، حتى أقتلك قتلة ما قتلتها أحدًا قبلك من العرب، فلا^(٥).

(١) عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة من قيس عيلان، وبنو مرة يعرفون بنى سلول، لأنها أمهم، وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وعبد الله هو القائل ليزيد بن معاوية يعزبه عن أبيه:

اصبرْ يزيدُ فقد فارقت داميةً واشكرُ حياءَ الذى بالمُلكِ حاباكَا
لا رزءَ أعظمُ فى الأقبامِ نعلمه كما رزئتَ ولا عقبى كعقباكَا
أصبحت راعى أهل الدين كلهم فأنت ترعاهمُ واللهُ يرعاكَا

(٢) «على الأقبام» كذا ص، ش، وفى ط، ك، ب: «على اليوم».

(٣) «حيًا» كذا ص، ش، ط، ك، وفى ب: «صام».

(٤) ك: «بتجر» فى موضع «بشجر» وشجر: هو ساحل البحر بين عمان وعدن، و «الجند»:

كذا فى ط، ب، وفى ك، هـ: «جند» وهى بلد باليمن، وهذا البيت زيادة من هـ، ط،

ك، ب.

(٥) فى ش: «أما والله، أقتلك قتلة ما قتلتها أحد قبلك».

[قال سراقه: ومتى تقتلني؟ قال: اليوم]^(١) فقال سراقه: ما جعلك الله على ذلك قادرا اليوم، ولتقتلني، قال: فمتى؟ قال: تمنُّ عليّ، ثم أغدر الثانية، فتظفر بالعراق، ثم تأتي الشام، فتظفر بها إلا دمشق؛ تحاصر أهلها، ثم تفتحها، فتذبح على درج دمشق تسعة وتسعين من كباش العرب، ثم تتمهم بي مئة، ووالله ما أصحابك هزمونا، قال: فمن هزمكم؟ قال: هزمنا قومٌ على الخيول البلق، والبراذين الشهب، عليهم العمائم، فقال المختار لأصحابه: اسمعوا يا شرطة الله، تلکمُ الملائكة، ثم أمر سراقه فصعد المنبر، فأخبر بمن هزمه، فأمره أن يحلف لهم، فقال^(٢) سراقه: فوالله، ما حلفت يمين قطُّ، أنا فيها صادق، كنتُ أشدَّ اجتهدا مني في يميني تلك، وأنا فيها كاذب، رجاء أن أفلت من المختار^(٣).

(١) زيادة من ص، وساقطة من ش.

(٢) ش: «قال» بدون فاء.

(٣) نسب الجاحظ هذه القصة لغير سراقه في كتاب المحاسن والأضداد، في فضائل محاسن الدهاء والحيل، قال:

«قدم شيخ من خزاعة أيام المختار، فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي، فلما رأى ما تصنع سوقة المختار بالمختار من الإعظام، جعل يقول: يا عباد الله، أبا المختار يصنع هذا؟ والله لقد رأيته يتبع الإمام بالحجاز، فبلغ ذلك المختار، فدعا به وقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: الباطل، فأمر بضرب عنقه، فقال: لا والله، لا تقدر على ذلك، قال: ولم؟ قال: أما دون أن أنظر إليك وقد هدمت مدينة دمشق حجر حجرا، وقتلت المقاتلة، وسبيت الذرية، ثم تصلبني على شجرة على نهر فلا؛ والله إنني لأعرف الشجرة الساعة، وأعرف شاطئ ذلك النهر، فالتفت المختار إلى أصحابه، فقال لهم: أما إن الرجل قد عرف الشجرة، فحبس، حتى إذا كان الليل بعث إليه، فقال: يا أخا خزاعة، أو مزاح عند القتل؟ قال: أئشدك الله أن أقتل ضياعا، قال: وما تطلبها هنا؟ قال أربعة آلاف درهم أقتضى بها ديني، قال: ادفعوا له ذلك، وإياك أن تصيح بالكوفة، فقبضها وخرج.

ثم أمر المختار به إلى السجن، فبات فيه سراقة ليلته، ثم [بعث]^(١) إليه
بأبيات هي:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا نزونا نزوة كانت علينا^(٢)
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خروجنا بطراً وحيناً^(٣)
نراهم في مصفهم قليلاً وهم مثل الدبي حين التقينا^(٤)
[برزنا إذ رأيناهم فلمّا] رأينا القوم قد برزوا إلينا^(٥)
لقينا منهم ضرباً طلخفاً وطعنا صائباً حتى اثنتينا^(٦)

(١) «بعث» كذا في ش، وساقطة من ص.

(٢) «أبلغ» كذا في الجميع إلا ب: «أخبر».

وأبو إسحاق: كنية المختار، وفي س: «غزونا غزوة» وفي ف: «حملنا حملة» في موضع «نزونا نزوة».

(٣) س: «الضعفاسيا» في موضع «الضعفاء شيئاً» و «بطراً» في جميع النسخ إلا س: «نظراً» والبطر: الأشر، والحين: الهلاك.

(٤) س، ف: «تراهم» بالتاء بدلا من النون، وفي ط، ف، ب: «مصافهم» في موضع «مصفهم» والشطر الأول في هـ: «حسبناهم لنا عملا مشوبا» وفي هـ: «وكانوا كالدبي» في موضع «وهم مثل الدبي» وفي ب: «الربا» بالراء بدل الدال، والدبي: صغار الجراد قبل أن يطير، وفي س، ف، ع: «لما» بدل «حين».

(٥) البيت زيادة من ش، ط، ب، وساقط من ص.

(٦) ب: «رأينا» بدل «لقينا» وفي ط، «طلخفا» بالحاء، وفي ب: «وطحننا» والطلخف والطلخف: الشديد، وفي س: ضاحكا، في موضع «صائبا» وفي س: «انتبتنا» بدلا من «اثنتينا».

نُصرتَ على عدوكَ كلِّ يومٍ بكلِّ كُتَيْبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنًا^(١)
 كنصر محمدٍ في يومِ بدرٍ ويومِ الشَّعْبِ إذْ لاقى حُينًا
 فأَسْجَحُ إذْ ملَّكَتْ فلوْ ملكْنَا لَجُرْنَا في الحُكُومَةِ واعتديْنَا^(٢)
 تقبَّلْ توبةً مني فإني سأشكرُ إن جعلتَ العفوَ دينًا^(٣)
 كذاكَ ترى سراقَةَ فاصطنعهُ فذاكَ يزيدُ منْ عاداكَ شَيْنًا^(٤)

فلما انتهوا به إلى المختار، قالوا: هذا سراقه بن مرداس، يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل معكم على الخيل البلق، بين السماء والأرض، فقال له المختار: اصعد المنبر، فأعلم ذلك المسلمين، فصعد، فأعلمهم ذلك، ثم نزل، فخلا به المختار، فقال له: إني قد علمت أنك لم تر الملائكة، ولكن أردت ما عرفت: ألا أقتلك، فاذهب عني حيث أحببت، لا تُفسد على أصحابي، فخلي سبيله، وقال له: تهباً لدخول دمشق.

قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي البارقي، قال: قال سراقه: ما كنتُ في إيمانٍ حلقتُ بها قطُّ أشدَّ مني اجتهادا، ولا مبالغة في الكذب، مني في إيماني هذه التي حلقتُ بها أني رأيتُ الملائكة تقاتل معهم، فخلوا سبيله،

(١) س: «كُتَيْبَةٍ تَنْعَى» في موضع «بكلِّ كُتَيْبَةٍ تَنْعَى» والحسين هو ابن علي بن أبي طالب، لأن المختار شيعي، وقد خرج ليثار للحسين من قتلته.

(٢) سَجَح: عفا، و «إذ» كذا في ب، وفي ف «إن» والبيت زيادة من ب، ف، وساقط من الأصليين.

(٣) «العفو» كذا في ب، وفي باقي النسخ: «التقد».

(٤) ش: «كذاكَ» في موضع «فذاكَ» وهو تصحيف، والشين: العيب.

فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب^(١) بالبصرة، فقال سراقه في ذلك:

الأُبلِغُ أبا إسحاق أنى رأيتُ البُلُقَ دُهْمًا مُصْمَتًا^(٢)
كفرتُ بوحيكُم وجعلتُ نذرًا عليه قتالكم حتى الممات^(٣)
أرى عيني ما لم ترأياه كَلانًا عالمٌ بالتُّرَاهاتِ^(٤)
إِذَا قالوا أقولُ لهمُ كذبتُم وإن خرجوا لبستُ لهمُ أداتي

(١) مصعب بن الزبير: أخو عبد الله بن الزبير، تولى العراق بعد قتله المختار سنة ٦٧هـ، وقد حاربه عبد الملك بن مروان وقتله عام ٧١، وكان مصعب شجاعا جوادا بخلاف أخيه الذي كان كزا شحيحا، ولذلك مدح الشعراء المصعب وتركوا عبد الله، وكان عبد الملك يمدح شجاعة مصعب كثيرا.

(٢) ب: «أخبر» في موضع «أبلغ» والشطر الأول في ف، ع: «ألا من مبلغ المختار عنى» والبُلُق: جمع أبلق ويلقاء، وأراد الخيل البلق، وهى التى فيها بياض وسواد، والدهم: جمع أدهم ودهماء من الدهمة وهى السواد، وأراد أن الخيل البلق التى ذكرت أنها تطير، إنما هى خيل دهم، نحاربك عليها، وفى ف: «مضمرات» بدلا من «مصمات» والمصمت: الذى لا يخالط لونه أى لون آخر.

(٣) غ، ع: «بدينكم» فى موضع «بوحيكُم» وفى ز: «ورأيت» بدلا من «وجعلت» وفى س: «هجاءكم» بدلا من «قتالكم» وفى هـ:

..... ويرثت منكم ومن أشياعكم حتى الممات

(٤) الشطر الأول كذا فى ص، ش، ف، ع، ز، ن، وفيه مشكلة صرفية، وهى إثبات الهمزة فى «ترأياه» والقياس نقل حركتها إلى الراء وحذفها؛ قال ابن جنى فى «سر الصناعة» «وقد رواه أبو الحسن: «ما لم ترأياه» على التخفيف الشائع عنهم فى هذا الحرف على زحاف الوافر» ويقول الزجاجى فى أماليه الكبرى: «أما قوله «ترأياه» فإنه رده إلى أصله، والعرب لم تستعمل «يرى» و «ترى» و «نرى» و «أرى» إلا بإسقاط الهمزة تخفيفا، فأما فى الماضى فإنها مشنة، وكان المازنى يقول: الاختيار عندى أن أرويه «لم ترأياه» بغير همز، لأن الزحاف أيسر من ردِّ هذا إلى أصله» وتخلص بعضهم منه =

[فلما بلغ المختارَ ذهابه إلى البصرة وشعرهُ هذا هدم داره، فبناها مصعب حيث^(١) قُتِلَ المختار.

وقال سراقه:

عينيَّ جوداً

وهي مكتوبة في آخر الديوان في الزيادات^(٢)].

* * *

حدثه عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد ابن سعيد بن عمر بن سعيد، عن أبيه، قال: قَحِطَ الناس في زمن بشر بن مروان، فخرجوا فاستسقوا، وبشر معهم، فرجعوا وقد مُطِّروا، ووافق ذلك سيلاً جاء من الليل، فغرقت ناحية بارق وبنى سليم، فخرج بشر من الغد ينظر إلى آثار المطر، حتى انتهوا إلى بارق، فإذا الماء في دار سراقه بن مرداس البارقي، وسراقه قائم في الماء، فقال: أصلح الله الأمير، إنك دعوت أمس ولم ترفع يديك، فجاء ما ترى، ولو كنت رفعت يديك لجاء الطوفان، فضحك بشر، فأنشأ سراقه يقول:

دَعَا الرَّحْمَنَ بَشْرٌ فَاسْتَجَابَا لدَعْوَتِهِ فَأَسْقَانَا السَّحَابَا
وَكَانَ دَعَاءُ بَشْرٍ صَوَّبَ غَيْثٍ يُعَاشِرُهُ بِهِ وَيُحْيِي مَا أَصَابَا^(٣)

= بروايته «تبصره» كما في هـ، غـ، ك، ط، وقال الأصمعي: الترهات: الطرق الصغار غير الجادة، تشعب عنها، الواحدة ترهَةٌ، فارسي معرب، ثم استعير في الباطل.

(١) كذا في ص، ولعلها: حين أو بعد.

(٢) ما بين المعقوفين في ص، وساقط من ش.

(٣) صوب الغيث: نزوله.

أَغْرَبُ بَوَجْهِهِ يُسْتَمَى وَيُحْيَا وَنَسْتَجْلِي بِغُرَّتِهِ الضَّبَابَا

* * *

وقال سراقه يرثى محمد بن مخنف يوم جبانة السبيع:

لم أرَ مثلاً الخيلِ خيلِ ابنِ مخنفٍ	غداة انتدى بالشاكرى ابنِ كاملٍ (١)
أشدَّ ولا أمضى على الهولِ مقدِّمًا	وأقتلَ للقرنِ المُشِيحِ المنازلِ (٢)
شددنا وشدوا واضطربنا فلم نخم	ولوا سراعًا كالنعامِ الجوافلِ (٣)
فما لبثَ المختارُ أنْ كرَّ خيله	علينا فألوتُ بالكرامِ الأمائلِ (٤)
وصكَّتْ علينا قومنا من ورائنا	فكم من قتيلِ بيننا ومقاتلِ (٥)
فما برحَ القرمُ الرئيسُ ابنِ مخنفٍ	يقاتلُ حتى خرَّ غيرَ موائِلِ (٦)
ونجاهُ ضربُ الأزديِّ تزجرُ حوله	وتضربُ عنه بالسيفِ القواصلِ (٧)

(١) ص، ش: «اجتدى» فى موضع «انتدى» وانتدى: بمعنى اجتمع، أى اجتمع بالشاكرى فى الحرب، وانتدى: بمعنى صاح أيضا، أى صاح به ليحاربه.

وابن كامل هو عبد الله بن كامل الشاكرى الشيعى، أرسله الكوفيون لیسأل محمد بن الحنفية عن المختار، وقد جعله المختار على شرطته، وحارب مصعب بن الزبير مع المختار.

(٢) القرن: كفؤك فى الشجاعة، والمشيح: المقدم عليك.

(٣) «نخم» كذا فى ش وفى ص: «تخم» ونخم: أى نثقل ونسترخى، والجوافل: المتزعجة الهاربة.

(٤) ألوى به: ذهب به، وألوت به الخيل: قتلته.

(٥) صك: ضرب.

(٦) «القرم» كذا فى ش، وفى ص: «القرم» والقرم: السيد، وموائل: طالب للنجاة.

(٧) القواصل: القواطع.

ومنْ دونه حامى أخٌ ذو حفيظة
أغرُّ كقرنِ الشمسِ أروعُ ماجدٌ
وضاربٌ حتى أقصدته رماحهم
سخوتَ بنفسِ عندَ ذاكَ عزيزة
فيا عمرَ الخيرِ الكُرامِ ابنَ مخنفٍ
سأبكيك ما لم تنزح العينُ ماءها
كريمُ الثنا والخيمِ حلوا الشمائلِ^(١)
نجيبٌ عن الأعداءِ ليسَ بناكلِ^(٢)
فبوركتَ من ورَّادِ موتِ حلالِ^(٣)
علينا وأجلى كلِّ وانٍ وخاذلِ^(٤)
عليك استفاضةٌ عبرتي غيرَ ذاهلِ^(٥)
وما أثبتتُ في راحتى أناملى

* * *

وقال سراقه يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه فى قتل ابن مرجانة، وهو عبيد الله بن زياد^(٦):

أناكم غلامٌ من عرائنِ مذحجٍ جرىءٌ على الأعداءِ غيرُ نكولِ^(٧)
فيا بنَ زيادٍ بؤً بأعظمِ ماياً وذُقْ حدَّ ماضى الشفرتينِ صقيلِ^(٨)

(١) الحفيظة: الحمية والغضب، والثنا: الذكر الحسن أو القبيح، والخيم: الطبع.

(٢) ش «كريم» موضع «نجيب».

(٣) هـ: «أى رزين».

(٤) «وان» كذا فى ش، والوانى: الضعيف، وفى ص: دان.

(٥) «الكرام» كذا فى ش، وفى ص: «الكريم».

(٦) عبيد الله بن زياد بن أبيه ولى البصرة سنة ٥٥ هـ، ثم ضمت إليه خراسان، ولكنه عزل عنها سنة ٥٦ هـ، ثم ضمت إليه الكوفة عام ٦٠ هـ، وثار عليه الكوفيون والبصريون سنة ٦٤ هـ فهرب إلى الشام، وكان هو الوالى الذى قُتل فى عهده الحسين، ولذا أرسل إليه المختار جيشاً بقيادة إبراهيم بن الأشتر سنة ٦٧ هـ فحاربه وقتله.

(٧) العرائن: جمع عرنين، وهو هنا السيد الشريف.

(٨) ط، ب، ك: «هالك» فى موضع «ماياً» وباء بالإثم: بمعنى رجع به وحمله.

ضربناك بالعَضْبِ الحسامِ فلمْ نَجْرُ إِذَا مَا أَبَانَا قَاتِلَا بِقَتِيلِ (١)
 جزى الله خيراً شرطة الله إنهم شَفَوْا مِنْ عبيدِ الله أمسِ غليلي (٢)
 وأجدرُ بهندٍ أن تُساقَ سبيَّةً لها من بنى إسحاقَ شرُّ حليلٍ (٣)

* * *

وقال سراقه أيضاً حين بلغه أن ربيعة تهدد ابن الأشتر في قتل إياس بن مضارب (٤):

(١) ط: «بحدة» في موضع «فلم نجر» وفي ب: «نجيعه» وفي ب: «أنا قتيلا» في موضع «أبانا قاتلا» وباء للرجل بصاحبه بواء، إذا قُتل به.

(٢) شرطة الله: جند المختار.

(٣) هند بنت أسماء زوجة عبيد الله بن زياد، وقد كانت معه حين حاربه ابن الأشتر، وعندما قتل زوجها ذهب بها أخوها عيينة بن أسماء وهو يرتجز:

إِنْ تَصْرِمِي خَيَالَنَا فَرِيماً أَرَدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمَى الْمُعْلَمَا

وبنو إسحاق: أبناء المختار.

(٤) إياس بن مضارب: صاحب شرطة عبد الله بن مطيع، والى عبد الله بن الزبير على الكوفة، وقد قتله إبراهيم بن الأشتر في أثناء خروج المختار على ابن مطيع، وهاك قصة قتله في حوادث عام ٦٦ من الكامل لابن الأثير:

«وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء، وقد بلغه أن الجبانين (كذا في الأصول، ولعله الجبانات) قد ملئت رجالاً، وأن إياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر، فأخذ معه من أصحابه نحو مئة دارع، وقد لبسوا عليها الأقبية، فقال له أصحابه: تجنب الطريق، فقال: والله، لأمرن وسط السوق بجانب القصر، ولأربعن عدونا، ولأرينهم هوانهم علينا، فسار على باب الفيل، ثم على دار عمرو بن حريث، فلقيهم إياس بن مضارب في الشرط، مظهرين السلاح، فقال: من أنتم؟ فقال إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال إياس: ما هذا الجمع الذي معك؟ وما تريد؟ وست بشاركك حتى آتى بك الأمير، فقال =

أَتُوْعَدْنَا رِبِيعَةً فِي إِيَاسٍ وَأَيَّ الدَّهْرِ أُوْعَدْنَا قَبِيلٌ
 حَرُورِيٌّ تَكْنَفُهُ الْمَوَالِي وَعَضَّ بِرَأْسِهِ سَيْفٌ ثَقِيلٌ^(١)
 وَإِبْرَاهِيمُ مَعْتَزٌ هَزْبَرٌ لَهُ فِئَةٌ تَقُولُ كَمَا يَقُولُ^(٢)
 يَمَانِيَةٌ تَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ وَتَخْطُرُ فِي جَوَانِبِهَا الْفُحُولُ^(٣)
 حَمَى الضَّيْفَانَ إِذْ جَالَتْ نَزَارٌ كَمَا جَالَتْ مِنَ الْبَقْرِ الْوُعُولُ^(٤)
 فَلَوْلَا كَفُّهُ عَنْكُمْ لَكُنْتُمْ كَمَنْ غَالَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ غُولُ^(٥)
 لِأَسْرَتِ حَمِيرٍ وَبَنُو أَبِيهَا قُضَاعَةٌ وَالْفِرَاتُ لَهُمْ دَلِيلُ

* * *

وقال سراقه البارقي:

أُقَاتِلُ مَهْدِيًّا وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ وَأَمْرٌ بَدَأَ لِي غِيَّهُ مُتَفَاقِمٌ^(٦)

= إبراهيم خُلِّ سبيلا، قال: لا أفعل، وكان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن، وكان يكرمه، وكان صديقا لابن الأشتر، فقال له ابن الأشتر: ادنُ مني يا أبا قطن، فدنا منه، وهو يظن أن إبراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس، فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه، وطعن إياسا في ثغرة نحره، فصرعه، وأمر رجلا من قومه فأخذ رأسه، وتفرق أصحاب إياس.

(١) حروري: خارجي نسبة إلى حروراء التي خرجوا فيها على الإمام علي، فقاتلهم وهزمهم بها.

(٢) هزبر: أسد، وفي ش: «تقول» بدلا من «يقول».

(٣) خطر الرجل: اهتز في مشيه وتبخر.

(٤) الضيفان: الضيوف.

(٥) غال: اغتال.

(٦) المهدي: يقصد المختار الثقفى: والى: الضلال.

فَلَمَّا أَتْنَا شَيْعَةَ اللَّهِ تَدَعَى لَهَا لَهَبٌ تَبَيَّضُ مِنْهُ الْمَقَادِمُ^(١)
 فَدَارَتْ رَحَانًا سَاعَةً وَرَحَاهُمْ وَطَاحَتْ أَكْفٌ بَيْنَنَا وَجَمَاجِمُ^(٢)
 أَظْفَرُ حَيْطَانِ السَّبِيحِ وَإِنِّي بِأَبْوَابِ حَيْطَانِ السَّبِيحِ لَعَالِمٌ^(٣)

* * *

هذا آخر ما وجدته بخط الحسين بن علي النَّمْرِيِّ^(٤) يقول: هذا آخر ما
 وجدته بخط السكري؛ يقول: هذا آخر ما وجدته في كتاب ابن حبيب؛
 والحمد لله.

ووجدت بخط^(٥) الشيخ أبي أحمد بعد ذلك:
 قابلت بجميع^(٦) ما مضى، وأعلمتُ عليه، وكتبت ما لم يكتب فيه في
 الحواشي^(٧).

ووجدت بخط ابن الأعرابي بعد ذلك.

(١) المقادم: النواصي، أي هولها تشيب منه الرؤوس.

(٢) طاح: هلك وسقط.

(٣) «أظفر» كذا في ش وأظفر: أثب، وفي ص: «أظفر».

(٤) ص، ش: النميري، وفي نزهة الألبا والفهرست وبغية الوعاة: النمري.

هـ: «أبو عبد الله الحسين بن علي (النمري) يعرف بابن الأعرج، له كتاب (اللمع) في
 اللغة.

(٥) ش: «بخط» في موضع «ووجدت بخط».

(٦) «بجميع» كذا في ش، وفي ص: «بجمع».

(٧) «يكتب فيه في الحواشي» كذا في ش، وفي ص: «يكن».

وقال سراقه بارق:

أعينيَّ جوداً بالدموعِ السواكبِ وكوناً كواهيَّ شنةً مع راكبِ^(١)
 فإنَّ سرورَ العيشِ قد حيلَ دونهُ وما الشرُّ في الدنيا بضربةٍ لازبِ^(٢)
 وللأزدِ فابكى إذ أصيبتْ سرانهمُ فقُبْحاً لعيشِ بعدَ ذلكَ خائبِ^(٣)
 نُرَجِّيْ خلوداً بعدهمُ وتغولنا غوائلُ موتٍ أو قراعُ الكتائبِ^(٤)
 وكنا بخيرٍ قبلَ قتلِ ابنِ مخنفِ وكلُّ امرئٍ يوماً لبعضِ المذاهبِ^(٥)
 أمارَ دموعِ الشيبِ منَ أهلِ مصره وعَجَلٌ في الشبانِ شيبَ الذوائبِ^(٦)
 وقاتلَ حتى ماتَ أكرمَ ميتةٍ وخرَّ على وجهِ كريمٍ وحاجبِ^(٧)

(١) «أعيني» كذا في ط، وفي ص، ش: «عيني» فقط، والخرم جوائز في أول بيت من الطويل.

و «كواهي» كذا في ط، وفي ص، ش: «كوهي». الشنة: القربة الخلق.

و «مع راكب» كذا في ط، وفي ص، ش: «خرر راعب».

(٢) لازب: لازم.

(٣) و «للأزد» كذا في ط، وفي ص، ش: «وللأسد» «إذ» كذا في ش، وفي ص: «إذا» وهو تحريف، والشطر الأول في ط: «على الأزد لما أن أصيب سرانهم» وفي ط: «فتوحا» في موضع «فقبحا».

(٤) «نرجي» كذا في ط. وفي ص، ش: «أرجي» وفي ط: «الخلود» في موضع «خلودا» وفي ط: «وتعوقنا عوائق» في موضع «وتغولنا غوائل» وقراع: مقارعة ومحاربة.

(٥) أي كل امرئ سيموت يوماً ميتة ما.

(٦) أمار: أسال، ومعنى البيت أن الخطب كان من الفداحة بحيث جعل الكبار ينسون حلمهم ويكون، وشيب رهوس الشبان.

(٧) ط «خذ» في موضع «وجه».

عشبة حال الصف إلا عصابة
 فياً عين بكى مخنفاً وابن مخنف
 وبعد جباة في أرومة بارق
 فجعنا به لا وأنيًا متوانياً
 ولو سئلت منه شئوء فدية
 لمن لا يخاف القوم سقطه رأيه
 وسائله معطى الجزيل ولم تكن
 وكان هيوبا للفواحش كلها
 من الأزد تمشى بالسيوف القواضب^(١)
 وفرسان قومي قصرة وأقاربي^(٢)
 وليس المنابا مرضيات المعاتب^(٣)
 ولا عاجراً عند الأمور النوائب^(٤)
 لأعطوا نفوس القوم بعد الحرائب^(٥)
 إذا زاغ أصحاب الحلوم العواذب^(٦)
 تهيئه قدما عظام المواهب^(٧)
 وليس لأبطال الرجال بهائب

(١) «عشبة حال الصف» كذا بالحاء في ص، وبالجميم في ش، وفي ط: «وضارب عنه المارقين» و«الأزد» كذا في ط، وفي ص، ش: «الأسد» و«القواضب»: القاطعة، والمعنى أن الجند هربوا إلا جماعة من الأزد، سلت السيوف، وأخذت تحارب بها.

(٢) تقول العرب: هو ابن عمي قصرة وقصرة ومقصورة وقصيرة: أى داني النسب، وفي هـ: «قصرى».

(٣) الجابى: الذى يجمع المال، أو السدى يجمع الماء فى الحوض للورد؛ يريد الأغنياء، و«بارق» موضعها فراغ فى ص، ش، واختار الشيخ الشنقيطى هذه الكلمة لمثله.

(٤) «فجعنا» كذا فى ش، وفى ص: «فجعنا».

(٥) الحرائب: جمع حرية، وهى الشدة.

(٦) العواذب: الشوارد.

(٧) معنى البيت: إنه كريم يجزل العطاء لمن يسأله، ولا يخاف من عظام الهبات، منذ قديم الزمن، بل يهبها لمن يسأله.

ولم يكُ ممنُ يملأُ الرُّوعُ صدرهُ إذا راغَ أهلُ الخبِّ رَوْغَ الثعالِبِ^(١)
 وإياسَ فابكيه إذا اشتجرَ القنا لدى الرُّوعِ أو كَلَّتْ رِفاقُ المضاربِ^(٢)
 وحادَ رجالٌ عن رجالٍ وأبرزتُ نواجذها يومَ الطعانِ مرَّازبي^(٣)
 وإنْ ذُكِرَ الحِلْمُ المَزِينُ أهلهُ فما الحِلْمُ عنه يومَ ذاكَ بغائبِ
 وكانَ زعيمُ القومِ فيما يَنوبهمُ إذا عىَّ من يعنونهُ بالمخاطبِ^(٤)
 وكانَ له في ذرِّوةِ الحىِّ مَنْصبُ وليسَ كمنْ عَضَّ الفِراً بالمشاعبِ^(٥)
 ولا خاملٍ فيهم إذا ما نَسَبتهُ ولكنهُ منْ بارقٍ فى الذوائبِ
 فلا ولدتُ أنشى ولا أبَ غائبُ إلى أهله إنْ كانَ ليسَ بأبِ

(١) الخب، بالكسر: الخداع.

(٢) إياس: كذا وردت الكلمة فى جميع الأصول، ولعلها محرقة عن مرداس، أو شبهها، وهو بطل من أبطال بارق، وفى ش: «فابكه» فى موضع «فابكيه» واشتجر: تشابك وتخالف.

(٣) النواجذ: الأضراس الخلفية، أو أصول الأسنان، والمراب: جمع مرزيان، وهم رؤساء الفرس، يريد إذا استمر القتال، واشتبكت الرماح، وكلت السيوف، وهرب الرجال من الرجال، وأبدى القواد عن نواجذهم، وعضوا عليها، كى يصبروا ويشتوا؛ فى ذلك الوقت اذكرى مرداسا وشجنته فى مثل هذه المواقف.

(٤) «زعيم» كذا فى ش، وفى ص: «زعيم» وفى ص، ش: «يعبويه» وهو خطأ، والمعنى أنه إذا حصر رئيس القوم الذى يلجأ إليه فى الكلام، فإنه ينطق عن قومه، ويكون قوله الفصل.

(٥) الفراء: مقصور الفراء، جمع فررة، والمشاعب: الطرق، جمع مشعب.

يقول: إن له أعلى الدرجات فى قبيلته، فلا يشبه العمال أو الصناع الذين يفرون فى الطرق، وكلنا يعرف أن العرب كانوا يترفعون عن العمل فى الصناعات.

وَعَرْقَدَةَ الْقَرَمِ الَّذِي بَدَّ قَوْمَهُ غَلَامًا إِلَى أَنْ شَابَ غَيْرَ الْكَاذِبِ^(١)
 وَأَخْضَبَهُمْ رَحْلًا وَفِي السَّفَرِ عَصْمَةً إِذَا كَانَ زَادَ الْقَوْمِ مَا فِي الْحَقَائِبِ
 وَأَبَاهُمْ لِلضَّمِيمِ حِينَ يُسَامُهُ إِذَا قِيدَتِ النَّوْكَى كَقَوْدِ الْجَنَائِبِ^(٢)
 وَمَا اللَّيْثُ إِذْ يَبْدُو عَلَى الْفِ فَارِسَ وَتَحْتَ هُوَادَى خَيْلِهِمْ أَلْفٌ نَاشِبِ^(٣)
 مُوَازٍ وَلَا عِدَلٌ لِعُرْوَةَ إِذْ غَدَا عَلَى صَفٍّ صَفِّينَ الْعَظِيمِ الْمَوَاكِبِ^(٤)
 وَلَا جُنْدَبًا إِذْ صَالَ بِالسَّيْفِ صَوْلَةً عَلَى سَاحِرٍ فِي حَافَةِ السُّوقِ لَاعِبِ^(٥)

(١) «غرقدة» كذا في ش، وفي ص: «غرقده» وقد كان غرقدة هذا في جيش سعد بن أبي وقاص، وعندما اضطر سعد إلى خوض دجلة، لفتح المدائن اقتحمه، ولم يفرق من الجيش أحد، يقول الطبري في حوادث عام ١٦هـ: «إنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجلا من بارق يدعى «غرقدة» زال عن ظهر فرس له شقراء، كأنى أنظر إليها تنفض أعرافها عريا، والغريق طاف، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده، فجره حتى عبر، فقال البارقي، وكان من أشد الناس: أعجز الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع، وكان للقعقاع فيهم خنولة» والقرم: السيد.

(٢) النوكى: الحمقى، والجنائب: جمع جنيبة، وهى الدابة، تقاد بجوار أخرى.

(٣) الليث: الأسد، والهوادي: الأعتاق، والناشب: صاحب النشاب، أى السهام.

(٤) لعله يقصد عروة بن الجعد البارقي الذى نفاه عثمان بن عفان إلى الشام مع جماعة من أصدقائه، لسبهم سعيد بن العاص، وإلى الكوفة، فذهبوا إلى معاوية، ثم إلى عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، الذى هددهم وأرغمهم على الاعتذار للخليفة، وقد كان عروة فى جيش خالد بن الوليد فى العراق عام ١٢هـ، وعندما خرج الإمام على إلى العراق التحقوا به، وحاربوا فى صفه.

(٥) جندب بن زهير الغامدى، الذى كان مع عروة بن الجعد فى المنفى، وقصة الساحر رواها الطبري فى حوادث عام ٣٠هـ، قال:

«أتى الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر؟ =

وكانَ أَخَا لَيْلٍ طَوِيلَ قِيَامِهِ إِذَا النُّومُ أَلْهَى حُبَّهُ كُلَّ جَانِبٍ (١)
 وَقَيْسُ بْنُ عَوْفٍ فَاغْتَدِيهِ بِعَبْرَةٍ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالرِّجَالِ عَصَائِبَ (٢)
 وَإِنْ ذَهَلَتْ نَفْسِي وَأُذْهِبَ دَاوَاهَا فَمَا دَاءُ نَفْسِي مِنْ حَكِيمٍ بِذَاهِبٍ
 حَمَى صَقْعَبٌ تَحْتَ اللَّوَاءِ ذِمَارُهُ بِضَرْبِ كَأْفَوَاهِ اللَّقَاحِ السَّوَارِبِ (٣)

* * *

= قال: زعم هؤلاء النضر لنضر جاءوا به أنه ساحر، قال: وما يدريكم أنه ساحر؟ قالوا: يزعم ذلك، قال: أساحر أنت؟ قال: نعم، قال: وتدرى ما السحر؟ قال: نعم، وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبيه، ويريهم أنه يخرج من فمه واسته، فقال ابن مسعود: فاقتله، فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد: إن رجلا يلعب السحر عند الوليد، فأقبلوا وأقبل حنذب، واغتنمها يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أراه، فضربه، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه، حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن استحلّفوه بالله ما علم برأيكم فيه، وإنه لصادق بقوله فيما يظن من تعطيل حده، أو عزروه واخلوا سبيله» وقد قتل حنذب في موقعة الجمل، عام ٣٧ هـ، فقد كان رأس أزد العراق، فتقدم لمبارزة رأس أزد الشام، فقتله الشامي.

(١) جانب بصيغة اسم الفاعل: هو المجتنب المحقور، (انظر تاج العروس).

(٢) لم أستطع معرفته، أما الذي كان في موقعة صفين فهو قيس بن سعد الأنصاري الأزدي، «فانديه» كذا في ش، وفي ص: «فاندينه» وعصائب: أي جماعات، وأصلها عصائب، فخففت بحذف الياء.

(٣) «صقعب» كذا في ش، وفي ص: «صقعب» والأولى أحسن، لأنه قد يكون علما منقولاً من «الصقعب، أي الطويل» وفي هـ «صقعب: هو ابن مخنف، أخو عبد الرحمن بن مخنف» كأفواه: كذا في الأصول، ولعله محرف عن أفواق، وهي جمع فيقة، بالكسر، اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين، واللقاح: جمع لقحة أو لقوح، وهي الناقة الحلوب، الغزيرة اللبن، والسوارب: جمع سارية، وهي الجارية، صفة للأفواق.

كان الحجاج بن يوسف يقول: من أراد أن يبصر بالخيال^(١) فليرو قصيدة
بارق هذه؛ قول سراقه:

زعمت ربيعة وهى غير ملومة	أنى كبرت وأن رأسى أشيبُ
ورأت عذارى أدركت فى بارق	فتخاف من هول الجنان وترهب ^(٢)
ويشفها أن لا تزال يروعها	بكر تعرض نفسها أو ثيب ^(٣)
وكأنهن إذا خرجن لزينة	وبوزن من غم الحوائط ريب ^(٤)
من كل غراء الجبين كأنها	رشاً أحم المقلتين مربب ^(٥)
تجرى السواك على نقى لونه	مثل المدامة ريحه أو أطيب ^(٦)
وتقول قد أهلك مالك كله	فلبسماً تشرى الإمام وتخطب ^(٧)
لم تدر فيما قد مضى من عمرها	أن الجواد يصيد وهو مثلب
والمرء بعد الشيب يغشى رأسه	يلهو إلى غزل الشباب ويطرب

(١) فى ص، ش: «يبصر الخيل» وأظنها خطأ.

(٢) «عذارى» كذا فى هـ، وفى ص: «غذارا» وفى ش: «عذارا» والمعنى أنها إذا رأت العذارى تكبر تخاف أن أتزوجهن، فينجين الأولاد الشجعان الذين يحاربونها.

(٣) يشفها: يهزئها، والمعنى أنه قد أضناها خوفها الدائم من اللاتى يعرضن أنفسهن على من الأبيكار والشيئات للزواج.

(٤) الغم: هنا بمعنى الظل، والحوائط: البساتين، والرربوب: القطيع من بقرة الوحش.

(٥) الرشا: ولد الظبية، وأحم: أسود، ومربب: مربى ومثلاً.

(٦) المدامة: الخمر.

(٧) كذا فى ش، وفى ص: «يشرى الإمام ويخطب» بالياء.

والخيلَ تعذلني على إمساكها وتقولُ قد أهلكتَ مالا يُحسَبُ
فحلفتُ لا تنفكُ عندي شَظْبَةٌ جرداءُ أو سَبْطُ المَشْدَةِ سَلْهَبٌ^(١)
سَهْبُ الجِراءِ إِذَا عَوَيْتُ عِناهُ سُحُقٌ إِذَا هُضِمَ الرَعِيلُ المُنْطَبُ^(٢)
أما إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فيقودُهُ جذعٌ علا فوقَ النخيلِ مُشْدَبٌ
ومُعَرَّقُ الخدينِ رُكَّبَ فوقَهُ حُصَلٌ وسامعةٌ تظلُّ تَقَلَّبُ^(٣)
وترى اللِّجامَ يَضِلُّ في أَشْداقِهِ حتى يكادَ الفأسُ فيه يذهبُ^(٤)
وترى مكانَ الرَبْوِ منه واسِعًا مُتَنَفِّسٌ رُحْبٌ وَجَنْبٌ حَوْشَبٌ^(٥)
وله جِرانٌ كالقَميصِ يَزِينُهُ رَهْلٌ بهِ أَثَرُ الجِلالِ وَمَنْكَبٌ^(٦)

(١) الشظبية: الفرس البسطة اللحم، وجرداء: قليلة الشعر، والسبب: الطويل المسترسل، والمشدة: يقصد بها العنق، وقد تكون العرف، والسلهب: الطويل والعظيم الجسم.

(٢) في هـ: «سهب: واسع» الجراء: العدو، وعوى العنان: عطفه، وسحق: طويل عظيم، والرعييل: الجماعة من الخيل، ومعنى البيت أنه إذا هزلت الخيل وبدا ضمورها، فإنه يظهر من بينها لعظم هيكله وطوله.

(٣) معرق: هزيل تظهر مرقفه، والخصل من الشعر أى من عرفه، والسامعة: الأذن.

(٤) الأشداق: جمع شداق، وهو مَشَقُّ فم الفرس إلى متهى حد اللجام، والفأس: الحديدية القائمة فى الحنك من اللجام.

(٥) الربو: النفس العالى، والمتنفس: الأنف، والحوشب: العظيم، الكبير.

(٦) الجران: المرىء والحلقوم، أى واسع المرىء، والرهل: استرخاء اللحم، والجلال: جمع جُل، وهو للفرس كالثوب للإنسان.

وكان فارسه على زحُوفة
 أما إذا استدبرته فتسوقه
 زجاء عارية كأن حماتها
 وإذا تصفحه الفوارس معرضاً
 وإذا يقاد على الجنيبة بله
 وترى الحصى بشقى إذا ما قدته
 صم حواميها كأن نشورها

جرداء للولدان فيها ملعب^(١)
 رجل يقمصها وظيف أحذب^(٢)
 لما سروت الجلل عنا أرنب^(٣)
 فيقال سرحان الغضى المتذنب^(٤)
 حتى يحم من العنان المجنب^(٥)
 منه بجندل لابة لا يقلب^(٦)
 من نفس مصر عن أمير يحجب^(٧)

(١) الزحوفة: المكان المنحدر الأملس.

(٢) الوظيف: ما بين الركبة إلى الرسغ؛ يقول: إذا نظرت إليه من خلف رأيت رجله التي تدفعه إلى الامام ذات وظيف أحذب، يخالف لون سائر جسده، فكان الفرس لابس قميصا إلى وظيفه.

(٣) الزجاء: الرفيعة، وحماة الساق: عضلتها، سروت الجلل: ألقته عنها.

(٤) معرضا: أى تصفحه الفرسان مائلا منعطفا، والسرحان: الذئب، والغضى: نوع من الشجر يوجد فيه الذئب، والمتذنب: الشبيه بالذئب، فى سهولة انعطافه والتوائه.

(٥) الجنيبة: الدابة تقاد إلى جانب أخرى، ويحم: فى الأصول يجم، تحريف، والمعنى: يغسل بالحميم، وهو هنا العرق الساخن، والعنان: لجام الفرس، ويحتمل أن يكون معناه الشوط، أو الجهد، والمجنب: المقود.

(٦) الجندل: الحجارة. واللابة: الحرة المليسة حجارة سودا.

(٧) حوافر الفرس شديدة صلبة ولحمها أسود شديد السواد، كأنها مداد أمير من أمراء الأمصار ذوى الحجاب الذين يمنعون عنهم الناس، يريد مداد أمير مرقه.

والحوامى: ميامن الحافر ومياسره، ونسر الحافر: لحمه، وفى ش: «أمير» بدلا من «أمير» وهو تصحيف.

وكأنما يستنُّ فوق مُتونها
أخلصتهُ حَولا أَمسَحُ وجههُ
وجعلتهُ دونَ العيَالِ شتاءهُ
والقيظَ حينَ أصونهُ في ظِلَّةٍ
ولهُ ثلاثُ لقائِحٍ في يومهِ
حتى إذا أثنى وصارَ كأنهُ
بينَ السَنابِكِ والأشاعِرِ طُحَلْبُ^(١)
وأخو المَواطِنِ مَنْ يَصونُ ويندُبُ
حتى انجلى وهو الدخيلُ المُقَرَّبُ^(٢)
وحَشِيئُها قَبْلَ الغروبِ مُثَقَّبُ^(٣)
ونخيرُهُ معَ ليلِهِ مُتَأَوَّبُ^(٤)
وحَدِّ برابِيةٍ مُدِلُّ أَحَقَبُ^(٥)

(١) استن: جرى، والسنايك: جمع سنك، وهو مقدم الحافر، والأشاعر: ما حول الحافر من الشعر، يريد أن الشعر انتشر حول حوافره، فأشبه الطحلب.

(٢) وقد جعلت الفرس أقرب إلى من عيالي في الشتاء كي أدفئه، حتى ذهب الشتاء، وكان الفرس قريبا مكانه من مكاني.

(٣) الظلة: المكان المظلل، والوحشى: الجزء الذى يسلمك إلى الخارج، ومثقب: مضاء، يريد أن يقول: إنى أحفظه صيفا فى مكان مظلل عناية به، وقبيل أن يرخى الليل سدوله أنير ما حول الظلة، حتى يرى للصوص الضوء، فيظنون بى السهر والتيقظ، فلا يحاولون سرقتة، ومكان «الغروب» بياض فى الأصلين، فاختار له الشتيطى هذه الكلمة.

(٤) اللقائح: جمع لقوح، وهى بمعنى لقحة، واللقوق: صفة للناقة الحلوب الغزيرة اللين، ومعنى البيت: أن هذا الفرس كريم على، وأنا أطعمه لبن ثلاث لقائح، وهو ينام نوما متصلا بالليل لا يزعجه شىء، فنفسه متردد متصل طول الليل، وفى ص «نفيره» وفى ش: «فقيره» بدلا من «نخيره» وهو تصحيف.

(٥) أثنى: أسقط رواضعه وذلك إذا استنم الثالثة ودخل فى الرابعة، والوحد: المتفرد، والمدل: الجرىء، والأحقب: حمار الوحش، سمي بذلك لبياض فى حقويه.

راهنتُ قومي والرَّهَانُ لِحَاجَةٍ أحمى لمُهْرِي أن يسبَّ وأرغبُ
 في سُبُقَةٍ جادوا بها أو دعوة يومَ الرهَانِ وكلَّ ذلكَ أطلبُ
 فنقلتهُ نقلَ البصيرِ ولم أكنُ ممن يُخادعُ نفسه ويكذبُ^(١)
 ألقى عليه القرتينِ جلالهُ فيفيضُ منه كلُّ قرنٍ يسكبُ^(٢)
 وأردُّ فيه الماءَ بعدَ ذُبُولِه حتى يعودُ كأنه مُستصعبُ^(٣)
 قردُ الخصيلِ وفي العظامِ بقيَّةُ من صنعةِ قدمتها لا تذهبُ^(٤)
 وتوافقوا بالخيلِ وهي شوازبُ وبلاؤهنَّ عليهم مُتغيبُ^(٥)
 يتنا براس الخبطِ نَقَسُمُ أمرنا ليلا يجولُ بنا المراءُ ويهضبُ^(٦)
 حتى إذا طَمَسَ النجومَ وغمَّها وردُّ يغيبُ لونها متجوبُ^(٧)
 صاحوا بها ليخفَّ حشو بطونها وقلوبهم من هولِ ذلكَ تضربُ

(١) «نفسه» كذا في هـ، وفي ص، ش: «نفعه».

(٢) «منه»: كذا في ش، وفي ص: «من» والقرتان: البردان، أى الغداة والعشى، والمعنى أنه يلبسه الجلال وقت البرد ليدفئه، فيظهر منها قرناه، يسيل عليهما العرق، لسخونة جسمه.

(٣) عندما يذبل من كثرة العرق ويفتر: أغسله بالماء، فيتعش ويسترد قوته ونشاطه.

(٤) «قرد الخصيل» كذا في أساس البلاغة، وفي ص، ش: فبدا الحصير، وقرد الخصيل، أى ذو ذنب متلبد الشعر، وصنعة الفرس: حسن القيام عليه بالتغذية والتربية.

(٥) «شوازب» كذا في ش، وفي ص: «سوازب» والشوازب: الضامرة.

(٦) المراء: النقاش والجدل، ويهضب: يشتد ويسرع.

(٧) متجوب: منتشر، والورد: الأحمر، يقصد به الفجر.

وَسَرَوْا أَجَلَتَهَا وَسُرِّيَ صَفُّهَا
 وَجَرَتْ لَهُ طَيْرٌ الْأَيَّامِ غُدُوَّةٌ
 صَاحَ ابْنُ آوَى عَنِ شِمَالِ خُدُودِهَا
 عَجَلَتْ دَفْعَتَهَا وَقَلَّتْ لِفَارِسِي
 وَأَبَى عَلِيٍّ وَقَدْ جَرَى نِصْفَ الْمَدَى
 وَغَلَامُهُ مُتَقَبِّضٌ فِي مَتْنِهِ
 حَتَّى أَتَى الصَّفِّينِ وَهُوَ مَبْرُزٌ
 اسْتَأْنَسَ الشَّرْفَ الْبَعِيدَ بِطَرْفِهِ
 وَلِكَلَّهِنَّ عَصَابَةٌ مِنْ قَوْمِهِ
 يَغْشَوْنَهُ، وَيَقُولُ هَذَا سَابِقٌ
 وَكَأَنَّمَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَذْهَبُ^(١)
 وَلِهِنَّ طَيْرٌ بِالْأَشَائِمِ تَنْعَبُ^(٢)
 وَجَرَى لَهُ قَبْلَ الْيَمِينِ الشُّعْلَبُ
 رَاكِضٌ بِهِ إِنَّ الْجَوَادَ الْمُسْتَهَبُ
 وَالخَيْلُ تَأْخِذُهَا السِّيَاطُ وَتُكَلِّبُ^(٣)
 بِمَكَانِهِ مِنْهِنَّ رَأْيٌ مُعْجَبٌ^(٤)
 بِمَكَانِهِ رَأْيٌ الْبَصِيرِ مُغْرَبٌ^(٥)
 وَكَأَنَّهُ سِرْحَانٌ بِيَدٍ يَلْحَبُ^(٦)
 وَلَهُ مِنْ ابْنَاءِ الْقِبَائِلِ مَوْكَبٌ
 مَتَفَرِّسٌ فِي الْخَلْقِ أَوْ مَتَعَجَّبٌ

(١) كان الخيل والشفق منعكس على ظهورها مذهبة.

(٢) نعب: صاح، يريد أن يقول: إن فال فرسه كان حسنا، وقال الأفراس الأخرى كان سيئا، وهذا هو المراد من البيت التالي أيضا.

(٣) كلب الحصان: ضربه بالكلاب، أى المهماز.

(٤) الرأى هنا بمعنى النظر، أى كان النظارة معجيين بفرسه، وهذا الإعجاب ظاهر فى أعينهم.

(٥) مغرب: متباعد، أى إن فرسه كانت فى المقدمة، ولذلك كان المتفرج يحتاج إلى مد بصره حتى يراها.

(٦) الطرف: العين، والبيد: جمع بيداء، وهى الصحراء. ويلحِب: يسرع.

وأذُبُّ عَنْهُ الْمُرْقَصِينَ وَرَاءَهُ حَذَرَ الْفَوَارِسِ وَهُوَ رِيحٌ يُجَنَّبُ^(١)
 هَذَا لِتَعْلَمَ بَارِقٌ أَنِّي أَمْرٌ لِي فِي السَّوَابِقِ نَظْرَةٌ لَا تَكْذِبُ
 وَتَبَيَّنَ الْأَقْيَالُ مَا أَحْلَامُهُمْ وَالْحَلْمُ أَرْدُوهُ الْمَسَامُ الْمُغْرَبُ^(٢)
 وَالنَّاسُ مِنْهُمْ مَنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ وَمَعَذِبٌ يَشْقَى بِهِ وَيُعَذَّبُ
 فَدَعِ الْمِرَاءَ وَوَافِ يَوْمَ رِهَانِنَا بِطِمْرَةٍ أَوْ ضَامِرٍ لَا يَتَّعِبُ^(٣)

* * *

وقال سراقه:

أَبْتُ عَيْنُ ابْنِ عَمِّكَ أَنْ تَنَامَا بَجَنِبِ الطَّفِّ وَاحْتَمَّ احْتِمَامًا^(٤)
 وَقَالَتْ عَرْسُهُ مَاذَا بَعَشِقُ وَلَكِنْ نَظْرَةٌ كَانَتْ غَرَامًا^(٥)
 صَرَفْتُ الْوَجْهَ عَنْ نَظَرِ إِلَيْهَا وَأَلَقْتُ دُونَ سُنَّتِهَا قَرَامًا^(٦)
 كَلَانَا خَائِفٌ يَخْشَى أَبَاهَا وَطَعْنَا مِنْ عَشِيرَتِهَا وَذَامًا^(٧)

(١) أذب: أذف، والرقص: نوع من سير الخيل، والمرقصون: الفرسان الذين يركبون الخيل

الراقصة، وفي ص، ش: «راح» في موضع «ريح» وهي غير واضحة المعنى.

(٢) «الأقيال» كذا في ش، وفي ص: «الأقتال» والقبيل: ملك اليمن، والمسام: الشارد المتروك.

(٣) الطمرة: الفرس الجواد، وقيل المستعد للوثوب، و «لا يتعب» كذا في ش، وفي ص: «لم يتعب».

(٤) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(٥) العرس: العروس.

(٦) «عن» كذا في ش، وفي ص: «من» والسنة: الصورة والوجه، والقرام: الستر فيه رقم ونقوش.

(٧) الذام: العيب.

بصُرْتُ بِهَا نَكْلَمُ جَارِيَةً
 رَأَيْتُ غَمَامَةً فِي مَسْتَكْفٍ
 بِيضٍ دُجِي الظَّلَامُ بَرِيْقُ فِيهَا
 أَقَاحِي قَدْ تَصَبَّبَ مِنْ نَدَاهُ
 كُمَيْتَ اللُّونِ عَتَقَهَا عَظِيمٌ
 تَنَاسَاهَا عَلَى طَرَبِ إِلَيْهَا
 تُدَلُّ بِحَسَنَتِهَا وَسَطُّ الْعِذَارِي
 وَأَرْدَافُ تَوءُ بِهَا وَخَصْرُ
 بِهَا يَلْهُو الضَّبْجِيُّ إِذَا تَعَالَى،
 وَأَعْيَبُ شَانَهَا أَنِي هَيَّوبٌ

فَلَا دَلَا عَتَبْتُ وَلَا قَوَامًا (١)
 عَلَّتْ فِي عَارِضٍ كَسَفَ جِهَامًا (٢)
 وَتُبْصِرُ حِينَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامًا
 كَانَ أَصُولُهُ عُلَّتْ مُدَامًا (٣)
 فَلَمْ يَقْرَبْ لَهَا حَجَبًا خَتَامًا (٤)
 إِذَا ذَكَرَ الْمَشَارِبَ وَالنَّدَامِي
 وَتَسْتَعْنِي فَمَا تَبْغِي لِشَامًا (٥)
 كَطِيَّ السَّبِّ يَنْهَضُمُ انْهَضَامًا (٦)
 وَغَارَ النُّجْمِ، فَاقْتَحَمَ اقْتِحَامًا (٧)
 إِذَا مَا جِئْتُ أَكْتِمُ اكْتِمَامًا (٨)

(١) عتب: سقط.

(٢) المستكف: السحاب المحيط بالغمامة أو المستدير، والعارض: السحاب المعترض في السماء، والكف: المتقطع، ويقال العريض.

(٣) الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، والأقاحي: جمع أقحوان: وهو نبت طيب الريح، حوالبه ورق لبيض، ووسطه أصفر، وعُلٌّ: سقى، والمعلم: الخمر، أي كان أصول أسنتها أسقيت خمر.

(٤) الكمته: لون بين الولد والحمرة، والحجج: جمع حجة، أي سنة.

(٥) ش: «تبقى» موضع «تبغى» وهو تحريف، واللثام: الثقاب.

(٦) اللب: اللثة الرقيقة من الكتان أو القطن.

(٧) تعالی: أي ارتفع ونهض إليها، كما قال امرؤ القيس: «سموت إليها» وقد يكون بمعنى تعلى: أي هجم على القوم يلون لبس، ويرشحه قوله بعده: «فاقتحم اقتحاماً».

(٨) شانتها: كذا في ش، وفي من شانتها وهو تصحيف.

وَأَنَّ الرَّأْسَ شَيَّبَهُ اِطْلَاعِي
 أَعَالِجُ صَعْدَةَ وَأَقُودُ مُهْرًا
 وَمَنْ يَلْقَى الْفُؤَارِسَ كُلَّ يَوْمٍ
 وَكُنْتُ إِذَا الْهَمُومُ تَكَنَّفَتْنِي
 وَلَسْتُ بِمُخْرَزِ مَالِي بِنَذْرٍ
 وَلَسْتُ أُرَشِّحُ الْأَطْفَالَ مِنْهَا
 وَلَكِنِّي أَقُولُ لِحَالِبِهَا
 وَأَقْرَضُهَا ابْنَ عَمِي إِنْ أَتَانِي
 وَخَلْفَ خَالِفٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ
 وَإِخْوَانٍ فُجِعْتُ بِهِمْ فَأُضْحِي
 وَقَدْ أَحْمِي الْحَقِيقَةَ كُلَّ يَوْمٍ

بِلَادَ الْحَرْبِ مُلْبَسَةً قَتَامًا^(١)
 طَوِيلَ الْمَتْنِ يَسْتَوْفِي الْحِزَامًا^(٢)
 أَطَاعَنُ أَوْ الْأَازِمْتَهُمْ لِرِزَامًا^(٣)
 لَتُسْهَرْنِي جَعَلْتُ لَهَا نِظَامًا^(٤)
 وَلَوْ لَمْ يُبْقِ لِي أَبَدًا سَوَامًا^(٥)
 لِيُدْرِكَ نَسْلَهَا عَامًا فَعَامًا^(٦)
 أَشِيْعًا أَنْ فِي مَالِي ذِمَامًا^(٧)
 وَأَقْرَى الضَّيْفِ أَعْظَمَهَا سَنَامًا
 يَذْكُرْنِي حَيَاةً أَوْ حُلَامًا^(٨)
 كَمَجْرُوحٍ بِهِ يَشْكُو كَلَامًا
 وَنَحْمِي الْأَزْدَ أَنْفَى أَنْ أَرَامًا^(٩)

(١) القتامة: غبار الحرب.

(٢) الصعدة: القنائة المستوية، ويستوفى الحزام: أى غليظ ممتلئ، فيملا حزامه.

(٣) يقول: من كان يلقى الأبطال كل يوم مرة، فإنى ملازم للطعن والضرب لا أبرح مكانى.

(٤) كذا فى الأصل، والنظام: ملاك الأمر، يريد لا أجعل الهموم تستبد بى، بل أملكها، وقد

تكون الرواية فى الأصل: «كظاما» وهو سداد الشئ.

(٥) السوام: الإبل التى تترك لترعى.

(٦) أرشح: أربى، أى إنى لست بخيلا أربى أطفالها، بل أذبجها للضيوف.

(٧) الذمام: الحق، أى أذيعوا أن للضيف حقا فى إبلى.

(٨) «حياة» كذا فى ش، وفى ص «حياة» بالباء.

ومعنى البيت أنى أعيش فى زمن سقيم شرير يجعلنى أذكر الأيام الماضية الجميلة، أو أحلم بها.

(٩) ص، ش: «الأسد» فى موضع «الأزد».

أناسٌ يَأْمَنُ الْجِيرَانَ فِيهِمْ
 وَمَذْحِجٌ^(١) إِذْ تَقَرَّبُوا بِهِمْ جَمِيعًا
 وَفِي هَمْدَانَ^(١) ضَرْبٌ حِينَ تَلْقَى
 وَإِنْ أَهْتَفَ بِكِنْدَةَ^(١) يَأْتِ صَفًّا
 وَمَا لِي دُونَ خَثْعَمٍ^(١) مِنْ صَدِيقٍ
 وَإِنْ تَحَضَّرَ بِجَبِيلَةَ^(١) يَوْمَ بَأْسٍ
 وَدَاعِي الْأَشْعَرِينَ^(١) إِذَا دَعَاهُمْ
 وَحَمِيرٌ^(١) حِينَ يَبْدُوهَا كَرِيبٌ
 وَغَسَّانٌ^(١) الَّتِي مَلَكَتْ مَعْدًا

كَمَكَّةَ مَا تَمَنَّيْتُ بِهَا الْحَمَامَا
 رَأَيْتَ قُرُومَ مَدْحَحِنَا عِظَامَا
 يَطِيرُ مَعَاصِمًا وَيَبِينُ هَامَا^(٢)
 تُظَلُّ رِمَاحُهُمْ مَلَكَا هُمَامَا^(٣)
 إِذَا الْفَتِيَاتُ أَخْرَجْنَ الْخِدَامَا^(٤)
 تُكشِفُ عَنِ مَنَاكِبِي الزَّحَامَا
 مَنَعْنَاهُ الْجَوَامِعَ أَنْ يُضَامَا^(٥)
 تَكَادُ أَنْوْفَهَا تَجْلُو الْغَمَامَا^(٦)
 شَامِيَهَا وَمَنْ يَرَعِي الْبَشَامَا^(٧)

(١) قبائل يمنية.

(٢) «يبين» كذا في ش، وفي ص «يبير» والهام: جمع هامة، وهي الرأس، والمعنى أن همدان ذات صبر وشدة في القتال تطير فيه الأيدي وتقطع الرؤوس.

(٣) «تظل» كذا في ش، ومعناه: تقتل وفي ص «تظلل».

(٤) ش: «أخرجنا» في موضع «أخرجن» وهو خطأ ظاهر.

والخدما: السيقان، أو الخلاخيل، وكشف النساء عن سيقانهن: كناية عن الشدة في الحرب.

(٥) معنى البيت: أننا نمنع داعي قبيلة الأشعرين من الضيم في الأمور التي يجتمع لها الناس، وهي الحروب.

(٦) «كريب» كذا في ش، وجاءت في ص بدون إعجام، ومعنى يبدؤها: يفجؤها، والكريب: المكروب.

(٧) «غسان» كذا في ش، وفي ص: «حسان». وغسان: قبيلة يمنية، سكنت الشام، وصارت لها مملكة فيها، و«معدا» كذا في ش، وفي ص «معد» والبشام: شجر طيب الريح، يستاك به.

ولا تترك قضاة^(١) إن فيها
 ولاق بحضرموت غداة عز
 جذام^(١) ليس محصيتها قبيل
 وعاملة الحماة^(١) ومن يراهم
 ولو أصبحت في حكم^(١) مقيما
 وخولان^(١) النتي لم تغط إلا
 وحاء^(١) لو رأيتهم جميعا
 فعدا مثل ذا يا بنى نزار
 ولن تجدا ملوكا فى نزار
 ولو سئلت بلاد الحرب عنا
 علمتم أن كيدكم ضعيف

لنا الحسب المقدم والتماما
 خيار أناس محضرة^(٢) غشاما^(١)
 إذا داعى الصباح دعا جذاما^(٣)
 يرى الجرد السواهم والهجاما^(٤)
 وخف الزحف لم أرهب أثاما
 نبي الله إذ صلى وصاما
 حسبت الغاب فوقهم إجاما^(٥)
 وذلك عليكم أمسى حراما
 وآباء كآبائى كراما
 وعنكم إذ تصادنا صاما^(٦)
 وولى الجمع فانهزم انهزاما

(١) قبيلة يمنية، والتمام: العدد والكثرة.

(٢) محضرة: ماء لبنى عجل بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكة، أى إن غشام خير الناس غداة طلب العز فى ذلك المكان.

(٣) محصيتها: أى محيط بها، ويريد بداعى الصباح: داعى الحرب، لأنهم كانوا يغيرون صباحا، ولئها الصباح بالياء، أى تصايح الفرسان فى الحرب للقتال، فيكون داعى الصباح، وهو داعى الحرب أيضا.

(٤) الجرد: الخيل القليلة الشعر، و «السواهم» كذا فى ش، وفى ص «... أهم» الواضح منها الجزء الأخير فقط، والسواهم: الضامرة، والهجام: جمع هجمة؛ وهى ما دون المثة.

(٥) الغاب: جمع غابة، والإجام: جمع أجمة، وهى الشجر الكثير الملتف.

(٦) «بلاد» كذا فى ص، وفى ش «بلاء» وقد جاء هذا البيت فى الأصول متأخرا عن الذى بعده، ومحلّه هنا، لأن الذى بعده جواب للشرط الذى فيه.

كَمَا كَانَتْ جُمُوعُكُمْ تَوَلَّى إِذَا مَا أَبْصَرْتُ لَجِبًا لِهَامًا^(١)
 تَظَلُّ جِيَادُنَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَفَعَلِ الطَّيْرِ تَخْتَطِفُ اللَّحَامًا^(٢)
 تَرَى الْجُرْدَ السَّوَاهِمَ حِينَ تُعْطَى سِجَالَ الْمَاءِ تَقْتَحِمُ اقْتِحَامًا^(٣)
 وَكُلَّ مَطَارَةَ خَفِقِ حَشَاهَا أَسْرَتْ فِي غَزَاتِهِمْ وَحَامًا^(٤)
 وَشَاعِرٍ مَعَشَرَ فِيهِ طِمَاحٌ عَنِ الشُّعْرَاءِ كُنْتُ لَهُ زِمَامًا^(٥)
 يُخَاطِرُ عَنْ عَشِيرَتِهِ خَطَارًا وَيَكْسُو قَوْمَهُ حُلَلًا لِنَامًا^(٦)
 جَنَى حَرْبًا عَلَيْهِ ذَاتَ ضُرٍّ وَتَلْقَحُ ثُمَّ يَتَّجِهَا تَمَامًا^(٧)
 تَلَمَّسَ حُطُوءًا فَأَصَابَ ذَمًّا وَعَرَدَّ وَهِيَ تَضْطَرُّمٌ اضْطِرَامًا^(٨)
 تَرَكْتُ لِقَوْمِهِ عَيْبًا مُبِينًا يَكُونُ عَلَيَّ أَنْوْفُهُمْ خِطَامًا
 وَقَالَ أَنَاسُهُ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا عِلَامَ قَذَفْتُ أَنْفُسَنَا عَلَامًا؟!

(١) تولى: هرب، والجيش اللجب: ذو الجلبة والكثرة، واللهام: الجيش العظيم، كأنه يلتهم كل شيء.

(٢) اللحام: جمع اللحم.

(٣) السجال: جمع سجل، وهي الدلو بها الماء.

(٤) المطارة: المفزوعة، وأسرت: كتمت، ويكون أيضا أعلنت، والغزاة: الغزوة، والوحام: شهوة الحبلى خاصة.

(٥) الطمّاح: الكبير والفخر، والزمام: الخطام.

(٦) يخاطر: يعرض نفسه لنهلك دفاعا عن عشيرته.

(٧) تلقح: تحمل، «ثم يتتجها» كذا في ص، وفي ش: «قبل متتجها».

(٨) عرد: هرب، وتضطرم: تلتهب.

تُعْرَضُ بِأَمْرٍ فِيهِ أُنَاةٌ قَدِيمِ الْعَيْصِ يَنْتَقِمُ انْتِقَامًا (١)
 فَمَاذَا يَبْتَغِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ قَسَّمْتُ بَيْنَهُمْ قَسَامَا
 قَضَيْتُ قَضِيَّةً فِيهِمْ فَجَازَتْ بِهَا يُقْضَى إِذَا احْتَكَمُوا احْتِكَامَا

انتهى الموجود من شعر
 سراقه به مرداسه البارقي الأصغر

(١) العيص الأصل: يريد أنه ذو نسب قديم عريق.

زيادات على الديوان

هذه زيادات من أخبار سراقه وأشعاره، عثرت عليها في بعض كتب الأدب والتاريخ، وأنا أوردها هنا إتماماً للديوان:

١- في الأغاني ج ٩ ص ١١ طبعة دار الكتب المصرية القصة التالية:
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزوه، وأخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي، عن ولد جمعة بنت كُثَيِّر: أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كُثَيِّر، أن عبد الملك بن مروان قال: ويحك! الحَقِّ بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، وأنشد كُثَيِّر قوله:

بكل هِجَانٍ من بنى النَّضْرِ أَزْهَرَا	أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخواني
أرَاكَا بِأَذْنَابِ القَوَابِلِ أَخْضَرَا	فإن لم تكونوا من بنى النضر فاتركوا
ولو سُمَّتْهَا قبلي قَبِيصَةٌ أَنْكَرَا ^(١)	أبيتُ التي قد سُمَّتِنِي ونَكَرْتَهَا
بنا وبهم والحضرميَّ المَخْضَرَا	لبسنا ثياب العَصْبِ فأخْلَطَ السَّدَى

فقال له عبد الملك: لا بد أن تُنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة، وحمله كتب إلى العراق في أمره، قال عمر في خبره خاصة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك، وقال فيه الأحوص - ويقال: بل قال سراقه البارقي:

(١) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي، أبو سعيد وأبو إسحاق، وُلد في حياة النبي ﷺ،

لعمري لقد جاء العراق كثيرٌ
أيزعمُ أنى من كنانة أولى
فإن كنتَ حرّاً أو تخافُ معرّةً
بأحدوثه من وحيه المتكذبِ
ومالى من أمِّ هناك ولا أبِ
فخذ ما أخذتَ من أميرك واذهبِ

فقال كثير يجيبه - وفي خبر الزبير: قال هذا - لأبى علقمة الخزاعى: وفي

رواية الزبير، «أبا علقم»:

بنو النضر ترمى من ورائك بالحصى
يُفيدونك المال الكثير ولم تجدُ
إذا ركبوا ثارتُ عليك عِجاجةٌ
أولو حسب فيهم وفاء، ومصدقُ
لملكهم شَبْهاً لو أنك تصدقُ
وفي الأرض من وقع الأسته أولقُ^(١)

فأجابه الأحوص بقوله:

دع القومَ ما حلُّوا ببطن قراضِمِ
فإنك لو قاربتَ أو قلتَ شَبْهَةً
عذرناك أو قلنا صدقتَ وإنما
ستأبى بنو عمرو عليك ويَتَمى
فإنك لا عمراً أباك حَفِظتَه
ولم تُدرِكِ القومَ الذين طلبتهم
وحيثُ تَفَشَى بيضُه المتفلقُ^(٢)
لذى الحقُّ فيها والمخاصم مَعَلقُ
يُصدِّقُ بالأقوال من كان يصدِّقُ
لهم حسبٌ فى جذمِ غمانٍ مُعْرِقُ^(٣)
ولا النضرَ إن ضيَّعتَ شيخك تلحقُ
فكنت كما كان السقاء المعلقُ

(١) الألوئق: الجنون.

(٢) قراضم: موضع بالمدينة.

(٣) الجذم: الاصل.

بِجِذْمَةِ سَاقٍ لَيْسَ مِنْهُ لِحَاؤُهَا وَلَمْ يَكُ عَنْهَا قَلْبُهُ يَتَعَلَّقُ^(١)
فَأَصْبَحَتْ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةً مَائِهِ لِبَادِي سَرَابٍ بِالْمَلَأِ يَتَرَقَّرُقُ^(٢)

قال: فخرج كثير، فأتى الكوفة، فرمى به إلى مسجد بارق، فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال: نعم، قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعرٍ ولد زناً يدعى كثيراً، قال: سبحان الله! أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه، فأنسل منهم وجاء إلى والى الكوفة حسان ابن كيّسان، فطيره على البريد، وقال عمر بن شبة في خبره: إن سراقه البارقي هو المخاطب له بهذه الشتيمة، وإنه عرفه وقال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان، وأنا أولهم، فانصرف إلى منزله، ولم يعد إلى عبد الملك.

* * *

٢- وفي «الطبرى» عام ٦٦هـ، أن سراقه بن مرداس قال يوم جبانة السبيع:

يَا نَفْسُ إِلا تَصْبِرِي تُلِيْمِي لا تَتَوَلَّى عَنْ أَبِي حَكِيمِ^(٣)

* * *

٣- وفي «المحاسن والأضداد» فى باب «محاسن الدهاء والحيل» البيتان الآتيان منسوبين لسراقه:

(١) الجذمة: القطعة، واللحاء: قشر الشجرة.

(٢) الملا: الصحراء.

(٣) تليمي: تجلبى اللوم.

قالوا سراقَةٌ عَنِينٌ فَقُلْتُ لَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَنِينٍ^(١)
 فَإِنْ ظَنَنْتُمْ بِي الشَّيْءَ الَّذِي زَعَمُوا فَقَرِّبُونِي مِنْ بِنْتِ ابْنِ يَاسِينَ^(٢)

* * *

انتهت الزيادات بحمده تبارك وتعالى

(١) العنين: الذي لا يقدر على إتيان النساء، أو لا يشتهي النساء.

(٢) في الشافية: «طلبتم» في موضع «ظننتم» و «ابن يامين» في موضع «ابن ياسين».

فهارس

ديوان
سراقة البازق

١- فهرس الأعلام

- الأمدي: ٣، ٦٩.
- إبراهيم بن الأستر: ٦، ١٠، ٤١، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٨٣.
- ابن الأثير: ٨٢.
- ابن الأعرابي: ١٩، ٢٩، ٣٠، ٥٧، ٨٤.
- ابن بحر: ٥٥.
- ابن بسام: ٢٤.
- ابن جزء: ٥٥.
- ابن جنى: ٧٨.
- ابن دريد: ٤، ٣١.
- ابن المدينة: ٢٨.
- ابن زحر: ٥٥.
- ابن الطرامة الكلبي: ٧٠.
- ابن عبد ربه: ٥.
- ابن كثير: ٨، ٧١، ٧٢.
- ابن محكان: ٧٠.
- ابن مسعود: ٨٨، ٨٩.
- ابن النديم: ٣٠.
- ابن همام السلولي: ٧٤.
- ابن ياسين: ١٠٥.
- ابن يامين: ١٠٥.
- أبو أحمد: ٢٩، ٣١، ٨٤.
- أبو أزيهر الدوسي: ٣.
- أبو بكر بن مخنف: ٦، ٥٣، ٥٥.
- أبو حاتم السجستاني: ٣٠.
- أبو الحسن الأخفش: ٧٨.
- أبو دواد الإيادي: ١٦، ١٩، ٦٤.
- أبو ذؤيب: ٦٥.
- أبو رياش: ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٥١.
- أبو سعد الماليني: ٣١.
- أبو الطمحان القيني: ٧٠.
- أبو عبيدة: ١٩، ٣٠.
- أبو العلاء المعري: ٣٢.
- أبو عمرو: ٦٠.
- أبو الفرج الأصفهاني: ٧.
- أبو القاسم البغوي: ٣١.
- أبو قطن: ٨٣.
- أبو محمد المافروخي: ٣٢.
- أبو مخنف: ٧٧.
- أبو نعيم الأصبهاني: ٣١.
- أبو نواس: ٢٠، ٢٥.
- أبو اليقظان: ٣٠.
- أحمد بن الحارث: ٣٠.
- أحمد بن عبد العزيز الجوهري: ١٠٣.
- الأحوص: ١٠٣، ١٠٤.
- الأحوص بن جعفر: ٩.
- الأخطل: ٢١، ٢٢، ٣٩، ٦٨، ٧٠.
- إسحاق بن محمد بن الأشعث: ٥، ٦، ٣٨.
- أسماء بن خارجة: ٧١.
- الأشتر النخعي: ٧٣.
- الأصمعي: ١٨، ١٩، ٧٩.
- الأعشى: ٢٤، ٢٨، ٦٩.

- خالد بن الوليد: ٨٨ .
الخنساء: ٣ .
ذهل بن شيان: ٧٤ .
ذو الرمة: ٢٨ .
الزبير بن بكار: ١٠٣ ، ١٠٤ .
الزبير بن الماحوز: ٤٢ .
الزجاجي: ٧٨ ، ٨ .
زحر بن قيس: ٣٨ .
زفر بن الحارث: ٧١ .
زهير بن أبي سلمى: ١٨ ، ٣٠ ، ٦٩ .
زيادة بن زيد: ٧١ .
السامري: ٤٩ .
سراقة الأكبر: ٣ ، ١٦ .
سراقة السلمى: ٣ ، ٤ ، ١٦ .
سعد بن أبي وقاص: ٨٨ .
سعد بن عدى: ٤ .
سعيد بن العاص: ٨٨ .
سعيد بن عمرو: ٧٩ .
سعيد بن قيس: ٧٣ .
السكري: ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٨٤ .
سلامة بن جندل: ١٦ ، ١٩ .
سلول: ٧٤ .
سمهر: ٦٢ .
السيوطي: ٣١ ، ٣٢ .
شبت بن ربعي: ٧٢ ، ٧٣ .
الشعبي: ٧٣ .
الشتيقي: ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٦ ، ٩٣ .
صالح بن مخراق: ٥٣ .
صقعب بن مخنف: ٨٩ .
الطبري: ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٣ ،
٥٦ ، ٨٨ ، ١٠٥ .
طفيل الغنوي: ١٦ ، ١٨ ، ١٩ .
عاشر أفندي: ٢٧ ، ٣٣ .
العباس بن الفرج: ٣٠ .
العباس بن محمد: ٢٩ ، ٣٠ .
العباس بن مرداس: ٣ .
عبد الرحمن بن أبان: ٧٥ .
عبد الرحمن بن أبي جعال: ٥٣ .
عبد الرحمن بن حسان: ٦٨ .
عبد الرحمن بن خالد: ٨٨ .
عبد الرحمن بن الخضر: ١٠٣ .
عبد الرحمن بن سعيد: ٤١ ، ٧٢ .
عبد الرحمن بن محمد: ٤١ ، ٤٢ ، ٧٣ .
عبد الرحمن بن مخنف: ٨ ، ٢٥ ، ٣٧ ،
٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٩ .
عبد عمرو بن مالك: ٦٥ ، ٦٦ .
عبد الله بن الزبير: ٦٥ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ٨٢ .
عبد الله بن الزبير: ٢٤ ، ٧١ ، ٧٤ .
عبد الله بن غطفان: ٦٩ .
عبد الله بن كامل: ٨٠ .
عبد الله بن محمد: ٧٩ .
عبد الله بن مطيع: ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٢ .
عبد الملك بن مروان: ٦ ، ٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ،
١٠٣ ، ١٠٥ .

- عبيد الله بن زياد: ٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٨١، ٨٢.
- عثمان بن عفان: ٨٨، ٨٩.
- عروة بن الجعد: ٢٦، ٨٨.
- علقمة الفحل: ١٦، ١٨.
- علي بن أبي طالب: ٣٩، ٦٠، ٧٣، ٨٣، ٨٨.
- عمر بن شبة: ٧٩، ١٠٣، ١٠٥.
- عمر بن مخنف: ٨١، ٨٥، ٨٦.
- عمر بن هبيرة: ٨.
- عمرو: ٣٨.
- عمرو بن توبة: ٧٢.
- عمرو بن حريث: ٢٢.
- عمرو بن كلثوم: ١٦، ٢٢، ٦٤.
- عنيزة: ٥٩.
- عوف بن مالك: ٦٤.
- عينة بن أسماء: ٨٢.
- غرقلة: ٨٨.
- الفرزدق: ٢، ٧، ٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٩، ٣٩، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٧١.
- القاسم بن معن: ٢٩.
- قيصة: ١٠٣.
- القرشي: ٥٩.
- قطرب: ٣٠.
- قطري بن الفجاءة: ٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣.
- القعقاع بن عمرو: ٨٨.
- قنبر: ٦٠.
- قيس بن سعد: ٨٩.
- قيس بن عوف: ٢٦، ٨٩.
- كثير: ٣، ١٠، ٢٠، ٢١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.
- كعب بن جعيل: ٧٠.
- كعب بن زهير: ٦٩، ٧٠.
- كليب: ٦٤.
- كيسان: ٧٢.
- لاسل أبركرمبي: ٢.
- ليد: ٢٨، ٦٩.
- المازني: ٧٨.
- المتبي: ٢٠.
- محمد عليه السلام: ٤، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٧، ١٠٠، ١٠٣.
- محمد ابن حبيب: ١، ٣، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٤١، ٥٥، ٨٤.
- محمد ابن الحنفية: ٧١، ٧٢، ٨٠.
- محمد بن عبد الرحمن: ٣٨.
- محمب بن عبد الملك: ٣٠.
- محمد بن عمير: ٧، ٢٠، ٧٣.
- محمد بن مخنف: ٨٠، ٨٥.
- المختار: ٤، ٥، ٦، ٨، ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٩، ٣٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣.
- مخنف: ٨٦.
- مرداس: ٥٣، ٨٧.
- المرزباني: ٣٠.
- المسمعي: ٣١.

- مصعب بن الزبير: ٦، ٣٩، ٥٣، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٠.
- معاوية بن أبي سفيان: ٣٩، ٦٧، ٦٨، ٨٨.
- معقر بن حمار: ٣، ٧٩.
- المغيرة بن المهلب: ٣٢، ٤٠.
- المفضل الضبي: ٢٩.
- المنذر بن النعمان: ١٩.
- المهلب: ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣.
- المهلبى: ٣٢.
- مهلهل: ٢٤، ٦٤.
- النابعة الجعدى: ١٦، ١٩.
- النابعة الذبياني: ١٨.
- نافع بن الأزرق: ٤٠.
- النضر: ١٠٤.
- النعمان بن بشير: ٣٩، ٦٨، ٧٨.
- نفظويه: ٣١.
- هدبة العذرى: ٧١.
- هشام بن عبد الملك: ٨.
- هند بنت أسماء: ٨٢.
- الوليد: ٨٨، ٨٩.
- ياقوت: ٣٠، ٣١، ٣٢.
- يحيى بن معين: ٣٠.
- اليذمرى: ٧٠.
- يزيد بن أنس: ٧١.
- يزيد بن معاوية: ٦٨، ٧٤.
- يزيد بن المهلب: ٤٠.
- يسار: ٥٣.
- اليعفرى: ٧٠.

٢- فهرسة الشعراء

- ابن الدمينة: ٢٨ .
 ابن الطرامة الكلبي: ٧٠ .
 ابن محكان: ٧٠ .
 ابن همام السلولي: ٧٤ .
 أبو دواد الإيادي: ١٦ ، ١٩ ، ٦٤ .
 أبو ذؤيب الهذلي: ٦٥ .
 أبو الطمحان القيني: ٧٠ .
 أبو العلاء المعري: ٣٢ .
 أبو علقمة الخزاعي: ١٠٤ .
 أبو نواس: ٢٠ ، ٢٥ .
 الأحوص: ١٠٣ ، ١٠٤ .
 الأخطل: ٢١ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٦٨ ، ٧٠ .
 الأعشى: ٢٤ ، ٢٨ ، ٦٩ .
 أعشى همدان: ٧٣ .
 امرؤ القيس: ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٩٧ .
 أمية بن أبي الصلت: ٦٩ .
 بجير بن زهير: ٦٩ .
 بشامة بن الغدير: ٦٩ .
 جرير: ٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٠ .
 حاتم: ٦٩ .
 حسان بن ثابت: ٢٤ ، ٢٨ ، ٦٧ .
 الحطيئة: ٦٩ .
 حميد بن مسلم: ٤٤ .
 الخنساء: ٣ .
 ذو الرمة: ٢٨ .
 زهير بن أبي سلمى: ١٨ ، ٣٠ ، ٦٩ .
 سراقه الأكبر: ٣ ، ١٦ .
 سراقه السلمى: ٣ ، ٤ ، ١٦ .
 سلامة بن جندل: ١٦ ، ١٩ .
 طفيل الغنوي: ١٦ ، ١٨ ، ١٩ .
 العباس بن مرداس: ٣ .
 عبد الرحمن بن حسان: ٦٨ .
 عبد الله بن الزبير: ٢٤ ، ٧١ ، ٧٤ .
 علقمة الفحل: ١٦ ، ١٨ .
 عمرو بن كلثوم: ١٦ ، ٢٢ ، ٦٤ .
 الفرزدق: ٢ ، ٧ ، ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧١ .
 فطرى بن الفجاءة: ٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ .
 كثير: ٣ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
 كعب بن جعيل: ٧٠ .
 كعب بن زهير: ٦٩ ، ٧٠ .
 كليب: ٦٤ .
 لييد: ٢٨ ، ٦٩ .
 المتنبى: ٢٠ .
 معقر بن حمار: ٣ ، ٦٩ .
 مهلهل: ٢٤ ، ٦٤ .
 النابغة الجعدي: ١٦ ، ١٩ .
 النابغة الذبياني: ١٨ .
 هدبة العذري: ٧١ .
 اليزمرى: ٧٠ .
 اليعفري: ٧٠ .

٣- فهرسة القبائل والجماعات

- الأزارقة: ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٣.
- الأزد (أزد شنوءة، وأزد عمان... إلخ) ٣، ٤، ٨، ٩، ١٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٣٠، ٤٠، ٤٣، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٦١، ٦٣، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٨.
- أسد: ٣، ٣٨، ٤١.
- الأشاعنة: ٤١.
- الأشعريون: ٩٩.
- الأمويون: ٩، ٣٣، ٤٠، ٧١.
- الأنصار: ٦٨.
- بارق: ٤، ٦، ٧، ٩، ١٦، ٢٠، ٢٥، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٧٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٦، ١٠٥.
- بجيلة: ٩٩.
- تميم: ٢١، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥١، ٦٣.
- تغلب: ١٦، ٥٠، ٦٤.
- جذام: ١٠٠.
- حاء: ١٠٠.
- حكم: ١٠٠.
- حمير: ٨٣، ٩٩.
- حنين: ٣، ٤، ٧٧.
- خثعم: ١٠، ٩٩.
- خزاعة: ٤، ٢٠، ٧٥، ١٠٣.
- خندف: ٥٠.
- الخوارج: ٧، ٩، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٥٣.
- خولان: ١٠٠.
- دارم: ٥١.
- الدليم: ٣٣، ٧٣.
- ربيع: ٧٠.
- ربيعة: ١٠، ١٣، ٢١، ٣٨، ٤١، ٤٨، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ٩٠.
- الزبيريون: ٤٠.
- الزيدية: ٣٢.
- سلول (بنو): ٧٤.
- سلم (بنو): ٣، ٦، ٧٩.
- شيبان: ٣١.
- الشيعة: ٣٣، ٤٠، ٧٢.
- طيم: ٦٩.
- عاملة: ١٠٠.
- عجل: ١٠٠.
- عمرو (بنو): ١٠٤.
- غامد: ٥٤.
- غسان: ٦٧، ٩٩، ١٠٤.
- غشام: ١٠٠.
- قحطان: ١٠٥.
- قريش: ٣، ٢٠، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ١٠٣.
- قضاعه: ٨٣، ١٠٠.
- قفيرة (بنو): ٥٠.
- قيس: ٣١.
- كليب: ٢٠، ٥٠.
- كنانة: ٢٠، ١٠٣، ١٠٤.

نزار: ١٠، ٢١، ٥٠، ٨٣، ١٠٠.

نصر (بنو): ٣.

النضر (بنو): ١٠٣، ١٠٤.

هذيل: ٢٨.

همدان: ١٠، ٣٨، ٤١، ٧٣، ٩٩.

يربوع: ٢٠، ٤٨.

اليمية: ٩، ١٠، ٧٣.

كندة: ١٠، ٣٨، ٤١، ٩٩.

الكيسانية: ٧٢.

مجاشع: ٧، ٥٢.

مذحج: ١٠، ٣٨، ٤١، ٨١، ٩٩.

مرة (بنو): ٧٤.

مضر: ٩، ٧٢، ٧٣.

معد: ٥، ٧، ٢٢، ٢٤، ٤٩، ٦٤، ٧٤.

.٩٩

٤ - فهرس المواضع

- الآستانة: ٢٧ ، ٢٨ .
الأخيل: ٦٩ .
أرض الروم: ٦٥ .
أرض العرب: ٩٦ .
أستان العال: ٥٣ .
أصبهان: ٣١ .
الأهواز: ٤٢ .
أوطاس: ٣ .
أيهب: ١٨ .
بدر: ٤ ، ٧٧ .
بردى: ٢٤ ، ٦٧ .
البريص: ٦٧ .
البصرة: ٦ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠٣ .
البضيع: ٦٧ .
بغداد: ٣١ .
بلاق: ٥ .
جاسم: ٦٧ .
جبانة السبيع: ٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٠٥ .
جبانة الصائدين: ٧٣ .
جبانة كندة: ٧٣ .
الجزيرة: ٢٤ .
جلق: ٦٧ .
الجناب: ١٨ .
الجند: ٧٤ .
جهران: ٥٥ .
الجوابي: ٦٧ .
جوخي: ١١ ، ٤٦ .
الحجاز: ١٨ ، ٧٥ ، ١٠٣ ، ١٠٥ .
حضر موت: ١٠٠ .
حمامة: ٤٨ .
حومل: ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٤ ، ٦٧ .
خراسان: ٨١ .
خوزستان: ٣١ .
الخياف: ٥٣ .
دارة جلجل: ٢٣ ، ٥٩ .
دجلة: ٨٨ .
الدخول: ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٤ .
دمشق: ٥ ، ٦ ، ٧٥ ، ٧٧ .
دومة: ٦٧ .
ديار سلمى: ٦٧ .
دير اللج: ٩ .
ذو ماوان: ١٧ .
ذو نجب: ٥٠ .
رأس الخط: ١٥ ، ٩٤ .
رامهرمز: ٣٨ .
الرحبة: ٧٣ .
زحر: ٥٥ .
سابور: ٣٨ ، ٤٣ .
السراة: ٤ .
سر من رأى: ٣٠ .

- سقط اللوى: ٢٣، ٦٤.
- الشام: ٥، ٨، ٤٥، ٥٥، ٧٥، ٨١.
- ٨٨، ٨٩، ٩٩.
- شحر: ٧٤.
- الشعب: ٤، ٧٧.
- صفين: ٢٦، ٣٩، ٨٨.
- الطائف: ٦٩.
- طخفة: ٥٠.
- الطف: ١٠، ٩٦.
- عدن: ٧٤.
- العراق: ١١، ١٢، ٢١، ٣٨، ٤٦، ٥٠.
- ٥٥، ٧٥، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٩٦، ١٠٣.
- ١٠٤.
- العراقان: ٣٩.
- العفر: ١٨.
- عمان: ٨، ٤٣، ٥٥، ٧٤.
- الغميم: ٤٨.
- الغور: ٥٠.
- فارس: ٤٣.
- الفرات: ٥٠، ٨٣.
- فيما: ٣٣.
- القاهرة: ٣٣.
- قراضم: ١٠٤.
- قرقيساء: ٧١.
- القسطنطينية: ٣٣.
- القطقطانة: ٩.
- كازرون: ٨، ٣٨، ٣٩، ٤٣.
- الكرخ: ٥٣.
- الكناسة: ٧٣.
- الكوفة: ٤، ٦، ٨، ٩، ٢٩، ٣٣، ٣٧.
- ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٧١، ٧٢.
- ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٨٨، ١٠٠، ١٠٣.
- ١٠٥.
- لندن: ٣٣.
- محضرة: ١٠٠.
- المدائن: ٥٣، ٨٨.
- المدينة ٣٨، ٤١، ١٠٤.
- مرج راهط: ٣٩.
- مرج الصفرين: ٦٧.
- مصر: ٧٣.
- المغرب: ٦٥.
- مكة: ٣، ١٠، ٩٩، ١٠٠.
- نجد: ٥٠.
- اليمامة: ٣١، ٤٩.
- اليمن: ١٠، ٢٠، ٢١، ٤١، ٥٠، ٥٤.
- ٥٥، ٦٤، ٧٢، ٧٤.

٥- فهرس القوافي والأوزان

- (الباء)
- ٧٩ (وافر) لدعوته فأسقانا السحابا دعا الرحمن بشر فاستجابا
١٠٤ (طويل) بأحدوثه من وحيه المتكذب لعمري لقد جاء العراق كثير
٨٥ (طويل) وكونا كواهي شنة مع راكب أعينى جودا بالدموع السواكب
٩٠ (كامل) أنى كبرت وأن شعري أشيب زعمت ربيعة وهى غير ملومة
- (الطاء)
- ٧٨ (وافر) رأيت البلق دهما مصمات ألا أبلغ أبا إسحاق أنى
٤٥ (وافر) ودون فراقها وجع وموت متى ما تلقى بى خيلا تداعى
- (الدال)
- ٧٤ (رجز) وخير من لبي وحبيا وسجد امن على الأقسام يا خير معد
- (الراء)
- ٤٣ (طويل) وأزد عمان رهن رمس بكاثر نوى سيد الأزددين أزد شنوءة
٤٦ (طويل) ملففة مما تضم الدساكر لا تنكحن الدهر إن كنت ناكحاً
٤٨ (كامل) قفر عفته روامس ودهور لمن الديار كسأنهن سطور
٥٢ (كامل) أن قد خصاك فلا تغط جرير قد كنت أحسب يا بن قين مجاشع
- (القاف)
- ٥٢ (بسيط) ما لم يوافقك الدين والخلق لا تظلين فتاة من وسامتها
٥٣ (طويل) وللحدث الجائى بإحدى المضايق ألا يا لقومى للهموم الطوارق
- (اللام)
- ٤٤ (كامل) فلقد تشد فتقتل الأبطالا إن يقتلوك أبا حكيم غدرة
٤٧ (طويل) لبشر على أن لست متركا ذحلا لعمرك إنى فى الحياة لخائف
٨٠ (طويل) غداة انتدى بالشاكرى ابن كامل لم أر مثل الخيل خيل ابن مخف
٥٧ (كامل) وبصرم حبلك باكرأ فتحمل إن الأحبة آذنوا بترحل
٨١ (طويل) جرى على الأعداء غير نكول أناكم غلام من عرانيين مذجع
٨٣ (وافر) وأى الدهر أوعدنا قبيل أتوعدنا ربيعة فى إياس
- (الميم)
- ٩٦ (وافر) بجنب لطف واحتم احتماما أبت عين ابن عمك أن تناما
١٠٥ (رجز) لا تتولى عن أبى حكيم يا نفس إلا تصبرى تليمى
٤٧ (وافر) ومن حلم مجالسة الحلیم مجالسة السفیه سفاه رأى
٨٣ (طويل) وأمر بدا لى غيه متفامه أقاتل مهنديا وتلك سفاهة
- (النون)
- ٧٦ (وافر) نزونا نزوة كانت علينا ألا أبلغ أبا إسحاق أنا

٦- فهرس الموضوعات

- (الاستعفاف)
- امنن على الأقبام يا خير معد: ٧٤
 ألا أبلغ أبا إسحاق أنا: ٧٦.
- (الحكمة)
- لا تنكحن الدهر إن كنت ناكحا: ٤٦
 مجالسة السفه سفاه رأى: ٤٧
 لا تطلبين فتاة من وسامتها: ٥٢
- (الحماسة)
- يا نفس إلا تصبرى تلمي: ١٠٥
 (الثناء)
- ثوى سيد الأزدين. أزد شنوءة: ٤٣
 إن يقتلوك أبا حكيم غدرة: ٤٤
 ألا يا لقومى للهموم الطوارق: ٥٣
 لم أر مثل الخيل خيل ابن مخنف: ٨٠
 أعينى جودا بالدموع السواكب: ٨٥
 (الفخر)
- متى ما تلقى بى خيلا تداعى: ٤٥
- إن الأحبة آذنوا بترحل: ٥٧
 أبت عين ابن عمك أن تناما: ٩٦
 (المدح)
- دعا الرحمن بشر فاستجابا: ٧٩
 أتاكم غلام من عرائين مذحج: ٨١
 أتوعدنا ربيعة فى إياس: ٨٣
 (الهجاء)
- لعمرك إنى فى الحياة لخائف: ٤٧
 لمن الديار كأنهن سطور: ٤٨
 قد كنت أحسب يا بن قين مجاشع: ٥٢
 ألا أبلغ أبا إسحاق أنى: ٧٨
 لعمري لقد جاء العراق كثير: ١٠٤.
 (الوصف)
- أقاتل مهديا وتلك سفاهة: ٨٣
 زعمت ربيعة وهى غير ملومة: ٩٠

٧- فهرس تاريخ القصائد

قد كنت أحسب يا بن قين مجاشع : ٥٢
 دعا الرحمن بشر فاستجابا : ٧٩
 عام ٧٥هـ
 ثوى سيد الأزدین أزد شنوءة : ٤٣
 إن يقتلوك أبا حكيم غدرة : ٤٤
 قصائد لا تاريخ لها
 متى ما تلقى بى خيلا تداعى : ٤٥
 لا تنكحن الدهر إن كنت ناكحا : ٤٦
 مجالسة السفه سفاها رأى : ٤٧
 لا تظلمن فتاة من وسامتها : ٥٢
 إن الأحبة أذنوا بترحل : ٥٧
 زعمت ربيعة وهى غير ملومة : ٩٠
 أبت عين ابن عمك أن تناما : ٩٦
 لعمري لقد جاء العراق كثير : ١٠٤

عام ٦٦هـ
 امنن على الأقوام يا خير معد : ٧٤
 ألا أبلغ أبا إسحاق أنا : ٧٦ .
 ألا أبلغ أبا إسحاق أنى : ٧٨ .
 لم أر مثل الخيل خيل ابن مخنف : ٨٠
 أتوعدنا ربيعة فى إياس : ٨٣
 أقاتل مهديا وتلك سفاهة : ٨٣
 أعينى جودا بالدموع السواكب : ٨٥
 يا نفس إلا تصبرى تلىمى : ١٠٥
 عام ٦٧هـ
 أتاكم غلام من عرائن مذحج : ٨١
 عام ٦٨هـ
 ألا يا لقومى للهموم الطوارق : ٥٣
 من عام ٧١ إلى ٧٤هـ
 لعمرك إنى فى الحياة لخائف : ٤٧
 لمن الديار كأنهن سطور : ٤٨

رقم الايداع	٢٠٠٠ / ١٨٢٦٥
الترقيم الدولي	977-341-012-9